IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJEPS
Vol 31, No 2, 2023, pp 358 -397

Received on (30-05-2022) Accepted on (04-09-2022)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.31.2/2023/16

Christians in the Quranic Discourse, Analytical Study in Surat Al-Maida from verses 72 to 77

Aya F. Abdel Aziz*[1], Prof. Mohamed A. Abdel-Aty*[2]
Interpretation Department - Qatar University[1,2]

*Corresponding Author: ayafekry@yahoo.com

Abstract:

This research studies the Qur'anic description of the Christian belief in Jesus, peace be upon him. Moreover, it is clarifying the Qur'anic stance towards this creed, proving its invalidity through inference. The paper studies the analytical interpretation of verses (72-77) of Surat Al-Ma'idah, which dealt with the issue of God in the Christianity creed, and the Qur'anic division of their sects. In addition, it concerned with understanding the Qur'anic approach to dominating these distorted beliefs and calling for the pure monotheism by emphasizing the reality of the Messiah and highlighting his own recognition of the lordship of God Almighty. Moreover, it extracts the versus guidance and provisions.

This study used the historical methodology to study the Christian sects and their beliefs at the time of Quran revelation, and the analytical method to analyze the versus و and the deductive approach to highlight the verses rhetorical secrets. The investigation and analysis prove that the versus have set a dividing line between faith and unbelief, and the Qur'anic approach is scientific and deductive and the versus rhetoric have a prominent impact in clarifying facts and refuting suspicions. The research recommended following the Qur'anic approach and controversy in the Islamic dialogue for Christians.

Keywords: Al-Mai'da, Analytical interpretation, Christian creed, Quranic approach, Jesus.

النصارى في ضوء الخطاب القرآني
دراسة تحليلية في الآيات (72-77) من سورة المائدة

آية فكري عبد العزيز[1] ، أ. د. محمد عبد اللطيف عبد العاطي[2]
قسم التفسير-جامعة قطر[1,2]

الملخص:

يُعنى البحث بدراسة التوصيف القرآني لعقيدة النصارى في المسيح عليه السلام، وبيان الموقف القرآني منها، وتقرير بطلانها من خلال الاستدلال، والجدل مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن. يدرس البحث التفسير التحليلي للآيات (72 - 77) من سورة المائدة، والتي تناولت قضية الإله في عقائد النصارى، والتقسيم القرآني للفرق النصرانية، كما يعْني باستشراف المنهج القرآني في الهيمنة على هذه العقائد المُحرفة، والدعوة إلى التوحيد الخالص، مع إقامة الحجج على ذلك؛ بالتأكيد على حقيقة المسيح عيسى ابن مريم، وإبراز إقراره نفسه بربوبية الله تعالى، مع استخراج أحكام وهدايات الآيات. وقد اقتضت طبيعة البحث استخدام: المنهج التاريخي؛ في دراسة الفرق النصرانية وعقائدها المعهودة زمن نزول القرآن، والمنهج التحليلي؛ في تحليل الآيات ذات الصلة لفهم المفردات والتراكيب، والمنهج الاستنباطي؛ لإبراز ما في الآيات من اللطائف، والهدايات القرآنية، والأسرار البلاغية، ودورها في معالجة موضوع الآيات، مع التركيز على الجانب المتعلق بالجدل مع أهل الكتاب موضوعًا ومنهجًا، وقد ثبت بالاستقصاء والتحليل أن الآيات وضعت حدًا فاصلاً بين الكفر والإيمان، وأن المنهج القرآني في مخاطبة النصارى منهج تطبيقي علمي استدلالي، وأن اللغة والبلاغة والأساليب البيانية، لها أثر بارز في بيان الحقائق ورد الشبهات، وأوصت الدراسة بالاقتداء بالمنهج القرآني في الحوار الإسلامي للنصارى، مع التوسع في دراسة الجدل القائم على المنهج القرآني؛ لتوظيفه في الحوار مع أصحاب الديانات الضالة.

كلمات مفتاحية: سورة المائدة، تفسير تحليلي، عقيدة النصارى، المنهج القرآني، المسيح.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومَن والاه إلى يوم الدين، وبعد:

فمن أعظم مقاصد القرآن الكريم ترسيخ عقيدة التوحيد، وإقامة البراهين عليها، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد؛ فالتوحيد قضية كلية أصولية في القرآن الكريم، ولذلك حُشدت الآيات القرآنية التي تبرز مفهوم الوحدانية، وتَصْدع بكفر من يشرك مع الله أحدًا؛ كشرك النصارى، الذين غَلَوا في المسيح عليه السلام، ورفعوه إلى مرتبة الألوهية، فجاءت آياتٌ قرآنيةٌ مقررةً لبشرية عيسى، وعبوديته، ونبوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59]، وآياتٌ أخرى لمحاجّة النصارى؛ تسوق البراهين العقلية، والشواهد المادية، على بطلان أقاويلهم، والتأكيد على معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ﴾ [المائدة: 73].

وهذا البحث يهتم بدراسة الآيات (72-77) من سورة المائدة، والتي تناولت عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام، واختيرت هذه الآيات الست لما لها من خصوصية ومناسبة، مع الوقت الراهن الذي تمر به الأمة الإسلامية؛ حيث يتجلى الإعجاز القرآني في إرساء منهج متكامل، وبناء قاعدة رصينة للحوار الإسلامي النصراني الفعّال.

ولإتمام هدف البحث، أُوثر تطبيق منهجية التفسير التحليلي للآيات؛ الذي يعين على سَبْر فقه معاني الآيات، وتدبر ما تكتنزه من العقائد والأحكام واللطائف، وهذه الدراسة ستتم من خلال تدبر تناسب الآيات مع سياقها، والوقوف على معاني ألفاظها، وفهم تراكيبها ومعانيها، ودراسة أحكامها، وتوظيف ذلك كله في استنباط هداياتها.

مشكلة البحث:

يحاول هذا البحث أن يجيب عن السؤال المركزي الآتي:

كيف تناولت الآيات (72 – 77) من سورة المائدة عقيدة النصارى: طرحًا وموضوعًا ومعالجةً؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة:

1. ما علاقة الآيات بسياقها في السورة؟
2. ما الفرق النصرانية في ضوء التقسيم القرآني؟
3. كيف وُظِفت اللغة، والبلاغة، والأساليب البيانية، في بيان الحقائق ورد الشبهات من خلال الآيات محل الدراسة؟
4. ما المنهج القرآني الذي بلورته هذه الآيات في الرد على عقائد النصارى الفاسدة؟

أهمية البحث:

1. يقف البحث على عقيدة النصارى، ويبين موقف الإسلام الصريح منها.
2. يسلط البحث الضوء على المنهج القرآني في الرد على النصارى.
3. يبرز البحث الأسلوب البياني القرآني، ويؤكد على أثره العظيم في تقرير المعاني.

أهداف البحث:

1. تفسير الآيات محل الدراسة تفسيرًا تحليليًا؛ لفهم المعاني والتراكيب.
2. بيان أسس عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى نبيًا مرسلًا.
3. استنباط النسيج المحكم الذي قامت عليه السورة، وإبراز الدور المحوري للآيات محل الدراسة.

4. تصوير التقسيم القرآني الإجمالي للفرق النصرانية، وإقامة الأدلة العقلية على بطلانها.
5. إبراز أسس المنهج القرآني في الحوار الإسلامي مع النصارى.
6. الكشف عن جوانب متعددة من البينة القرآنية، من جراء الربط بين معاني الآيات محل الدراسة والبلاغة القرآنية.
7. استنباط ما دلت عليه الآيات من أحكام عقدية.

حدود البحث:

هذا البحث محدد بدراسة الآيات (72-77) من سورة المائدة دراسة تحليلية.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعي على ما كُتب حول الموضوع، وجدت أبحاثًا ودراساتٍ حديثة تتناول سورة المائدة بالتحليل، وفيما يلي عرض لأهم هذه الدراسات والتي تتعلق بموضوع البحث:

1- "**القضايا العقدية في سورة المائدة**"، لهبه محمد موسى أبو مصطفى، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012م، تناولت الباحثة القضايا العقدية في سورة المائدة، كقضية التوحيد، وأنواعه، ونواقضه، والإيمان بالرسل، والكتب السماوية، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر، والحديث عن اليهود والنصارى، وكان تركيز الباحثة في المقام الأول على استقراء الآيات لإبراز القضايا العقدية في سورة المائدة، ولم تفسر آيات السورة تفسيرًا كاملًا، ولم تبرز المنهج القرآني في محاجة النصارى.

2- "**الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثاني عشر من القرآن الكريم من سورة المائدة من الآية (27-81)**"، لمنال عبد الرحمن أبو سخيلة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م، درست الباحثة الآيات (72-77) دراسة مقاصدية لاستخراج أهداف النص القرآني، والتأكيد على مقاصده، وهذا يختلف عن الدراسة الشاملة للآيات القرآنية التي يُعنى بها هذا البحث، والتي بلورت المنهج القرآني في محاجة النصارى.

3- "**آراء المفسرين في تفسير آيات العقائد في سورتي النساء والمائدة**"، لمحمد أحمد محمد عبد الله، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2017م، وقد جمع الباحث أقوال المفسرين في الآيات التي تناقش القضايا العقدية في سورتي النساء والمائدة، وكان الباحث معنيًا فقط بجمع الأقوال واستنباط دلالات منها، ولم يتطرق إلى التفسير التحليلي للآيات، واستخراج الأحكام، وإبراز معالم المنهج القرآني في الحوار مع النصارى.

ومؤلفات العلماء المتقدمين والمتأخرين في كتب التفسير تزخر بالدرر واللآلئ، ولكن أردت أن أبحث الآيات بحثًا تحليليًا جامعًا لأقوال العلماء، ومستوفيًا جميع الجوانب؛ من الناحية التحليلية، والإعرابية، وموقف القرآن من عقائد النصارى، فما تضيفه هذه الدراسة هو الكشف عن جوانب متعددة من البينة القرآنية، لتنير البصائر، وتكشف اللثام عن منهج قرآني متكامل للحوار مع النصارى.

منهج البحث:

للإجابة على أسئلة الدراسة، اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المناهج الآتية: أولًا: المنهج التاريخي؛ لإبراز عقائد الفرق النصرانية زمن نزول القرآن، ثانيًا: المنهج التحليلي؛ لاستنطاق النص القرآني، وتحليل المفردات والتراكيب، وذلك بالرجوع إلى كتب المفسرين، وكتب إعراب القرآن الكريم، وكتب الفقهاء والمحدثين، ثالثًا: المنهج الاستنباطي؛ لإبراز ما في الآيات من اللطائف والهدايات القرآنية، والأسرار البلاغية، وتسليط الضوء على المنهج القرآني في الرد على النصارى.

هيكل البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وستة محاور، وخاتمة كما يأتي:

المقدمة، وفيها موضوع البحث، وأهدافه، وأهميته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه.

التمهيد، ويشمل النقاط الآتية: حقيقة دعوة عيسى، وتعريف بعصور المسيحية، وفرق النصارى زمن بعثة النبي ﷺ.

المحاور: أولًا: بين يدي سورة المائدة: التعريف بسورة المائدة، وفضلها، ومحاورها.

ثانيًا: مناسبة الآيات محل الدراسة للسياق.

ثالثًا: معنى الآيات، والأقوال التي وردت فيها.

رابعًا: الأحكام العقدية في آيات الدراسة.

خامسًا: المعالم البلاغية في الآيات.

سادسًا: منهج الآيات في الرد على النصارى.

وأخيرًا الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات الخاصة بالدراسات المستقبلية المقترحة.

التمهيد

القرآن العظيم كتاب هداية؛ فجاءت الآيات القرآنية تسطع بالعقيدة الصحيحة، وتبصر المسلمين بالعقائد المخالفة؛ تحذيرًا لهم، وتضع منهجًا في الحوار مع أهل الزيغ والضلال، وفي مقدمتهم أهل الكتاب؛ اليهود والنصارى، يقول الله تعالى في فاتحة كتابه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: 6–7]، وفي حديث عدي بن حاتم، يبين النبي ﷺ غير المُنعم عليهم، فيقول: "اليَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَى ضُلَّالٌ"[1]؛ وآيات سورة المائدة محل البحث تجلي إفك النصارى، وتجرءهم على الله تعالى، بنسب الولد إليه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وهذه مقولة شنيعة، يكاد الكون بأسره يفنى على إثرها، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: 88–91]، وقد وصف الرازي كفر النصارى بأنه كفر قبيح جدًا، فيقول: "كُفْرَ عَابِدِ الْوَثَنِ أَخَفُّ مِنْ كُفْرِ النَّصَارَى، لِأَنَّ عَابِدَ الْوَثَنِ لَا يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْوَثَنَ خَالِقُ الْعَالَمِ وَإِلَهُ الْعَالَمِ، بَلْ يُجْرِيهِ مَجْرَى الشَّيْءِ الَّذِي يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، أَمَّا النَّصَارَى فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ الْحُلُولَ وَالِاتِّحَادَ وَذَلِكَ كُفْرٌ قَبِيحٌ جِدًّا"[2]، ولمّا كانت الآيات تدور حول عقائد النصارى، وموقف الإسلام منها، أُوثر البدء بالتعريف بدعوة عيسى، ثم الحديث عن فرق النصارى الكبرى زمن بعثة النبي ﷺ، والوضع العقدي لهذه الفرق، والاختلاف الشديد في الأفكار والمعتقدات؛ لنستنير بالهدي القرآني في الرد عليهم، بالحجة والبرهان.

عيسى ودعوة التوحيد:

---

1 الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت:279هـ)، **سنن الترمذي**، ت: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب، رقم (2954)، واللفظ له، ومسند أحمد رقم (19381)، مطولًا من حديث عدي بن حاتم، وصححه الألباني، ينظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت:1420هـ)، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، ن: المكتب الإسلامي، ج2، ص1363، رقم: (8202).

2 الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت:606هـ)، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج16، ص28.

المعتمد عند المسلمين في تقرير دعوة عيسى هو القرآن والسنة؛ نظراً للانحراف الذي زاغت به المسيحية عن سبيل الحق، وقد دعا عيسى إلى التوحيد الخالص، وأقر بعبوديته لله تعالى في المهد، وأنطقه الله صبيا، وكان ذلك إنذارًا بنبوته1، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم:30]، ويوم القيامة يتبرأ عيسى من الكافرين، الذين اتخذوه إلهًا، وغَلَوا فيه، وفي أمه مريم بنت عمران، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ [المائدة: 116-117]، فهذا نصّ قرآني صريح، يفيد أن دعوة عيسى هي إخلاص العبادة لله تعالى، وهي دعوة الرسل أجمعين، أما الانحراف في النصرانية فحدث بعد عهد عيسى عليه السلام، ورفعه إلى السماء، إذ لم تكن نهايته في الدنيا القتل، ولا الصلب، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: 55]، إذ أجمعت الأمة على أنه حي في السماء، وينزل آخر الزمان، فيفيض العدل، ويُظهر ملة الإسلام2، وفي حديث النبي ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ "3.

عصور المسيحية:

قُسمت إلى عصرين باعتبار صحة العقيدة، ثم الانحراف عن الحق إلى الكفر والضلال:

أولًا: عصر التوحيد: نهايته إلى ما بعد تاريخ انعقاد مجمع نيقية (325م) بقليل: إذ كان نور التوحيد مازال ساطعًا بتعاليم المسيحية الحقة، ونبوة عيسى ورسالته4.

ثانيًا: عصر تأليه المسيح، وعصر التثليث: يبدأ تاريخه بعد مجمع نيقية، حيث استطاع أباطرة الرومان بسطوتهم، وقسوتهم، واستخدامهم أبشع أنواع التعذيب الجسدي، أن يطمسوا نور التوحيد، حتى اعتنق قسطنطين المسيحية، الإمبراطور الروماني الذي حكم روما بين عامي (306-337م)، فأصبحت المسيحية دين الإمبراطورية الرومانية المهيمن، وبتوليه انتهى الاضطهاد العظيم، الذي ذاق ويلاته المسيحيون بدايةً من عهد الامبراطور نيرون الذي أعلن رسميًا اضطهادهم سنة 64م، وقد كان اعتناق قسطنطين للمسيحية فرجًا للنصارى، في ظاهر الأمر، ورحمةً لهم من ويلات الاضطهاد، إلا أنه كان وبالًا على الديانة النصرانية، حيث أحدث فيها وبدّل، فباتت خليطًا من الضلالات والوثنيات؛ حيث أمر قسطنطين باجتماع رجال الدين فيما يعرف بالمجامع المسيحية، للبت في حقيقة المسيح، وترسخت عقيدة ألوهية المسيح5.

المجامع المسيحية:

1 ينظر: الطبري، أبو جعفر بن جرير (ت:310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ن: دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج18، ص189.

2 ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت:542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، ج1، ص444.

3 البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت:256هـ)، **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، ج3، ص82، رقم (2222)، واللفظ له؛ مسلم، بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:261هـ)، **صحيح مسلم**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، كتاب الإيمان، ج4، ص135، رقم (155).

4 ينظر: أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص149.

5 ينظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ن: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2004م، ص188.

تُعرف المجامع في الديانة المسيحية بأنها جماعات شورية، يجتمع أعضاؤها لمناقشة وإقرار القضايا العقدية، وأطر الحياة المسيحية، وكان أول مجمع لهم بأورشليم (51م)، بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة، ومن قرارات هذا المجمع، عدم التمسك بالختان، وعدم اتباع شريعة التوراة فيما يتعلق بالحرام، إلا تحريم الزنا، وأكل المخنوق، وأكل الدم وأكل ذبائح الأوثان[1]، وتنقسم المجامع إلى: أولًا: مجامع مسكونية، حيث يأتي للاجتماع كل رجال الكنائس المسيحية، على اختلاف طوائفهم، من كل صوب، ثانيًا: المجامع المكانية، حيث يتجمع الأساقفة والقساوسة المنتمون إلى مذهب معين؛ لإقرار عقيدة أو رفض مذاهب أخرى، ومن هذه المجامع تسربت المقولات المنحرفة إلى العقيدة النصرانية الحقة[2].

وأعظم المجامع المسكونية، والتي كان لها شأنٌ كبيرٌ في رسم خطوط العقيدة المسيحية المحرفة، مجمع نيقية سنة 325م، الذي أعلن ألوهية المسيح، وكان سبب انعقاده هو الاختلاف الشديد في حقيقة المسيح، مع تداخل الوثنية الرومانية، والفلسفة اليونانية، والمصرية الفرعونية القديمة، وتصارع هذه الثقافات مع دخول أفرادها إلى المسيحية، فكانت مذاهب شتى متنافرة، بلا امتزاج ولا توافق، فدعا قسطنطين إلى الاجتماع للاتفاق حول حقيقة المسيح، فاجتمع في مدينة نيقية أزيد من ألفين من الأساقفة متنازعين في الآراء، وفي جوهر المسيح وحقيقته، فاختار قسطنطين منها الرأي الداعي إلى ألوهية المسيح، واضطهد من عاداهم، وخفتت أصوات الموحدين[3]، وتم له ما خطط من فرض عقيدة لم يعترف بها معظم رجال الدين في هذا الوقت، ونتيجة لسيادة السلطة السياسية على الحياة الدينية: انقسمت وحدة الكنائس في القرون الأولى إلى وحدتين: الكنيسة الأرثوذكسية في النصف الشرقي التابعة لبابا الإسكندرية في مصر، والكنيسة الكاثوليكية في النصف الغربي التابعة لبابا روما، حيث كان بطريريك الإسكندرية، يتحين الفرصة للانفراد بالسلطة الدينية، والانفصال عن بيزنطة، ومن أقواله: "إن البلاد لي أكثر ما هي للأباطرة، وإني أطالب بالسيادة على مصر"[4]. والفرق بينهما: أن القبط يعتقدون أن للمسيح طبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين، فيعتقدون في مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح، والتي تنصهر فيها الطبيعتان اللاهوتية والناسوتية سرمدًا، أما الروم فيقولون: إن في المسيح طبيعتين ومشيئتين متحدتين[5].

وظهرت حركات إصلاحية في القرن السادس عشر الميلادي، نتج عنها ظهور كنيسة البروتستانت، أي كنيسة المعارضين، وهكذا أسفرت المجامع المسيحية عن ثلاث كنائس: الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت، ولكل منهم نِحلة وفكر وعقيدة[6].

فرق النصارى وقت بعثة النبي ﷺ:

---

1 ينظر: أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص120.

2 ينظر: عجيبة، أحمد علي، **تأثر المسيحية بالأديان الوضعية**، ن: الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م، ص263 - 265.

3 ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: سامي بن محمد السلامة، ن: دار طيبة، ط2، 1999م، ج2، ص479.

4 تاجر، جاك (ت:1371هـ)، **أقباط ومسلمون: منذ الفتح العربي إلى عام 1922م**، ن: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص15.

5 ينظر: روفيله، يعقوب نخلة (ت:1323هـ)، **تاريخ الأمة القبطية**، تقديم: جودت جبره، ن: مطبعة التوفيق، مصر، 1898م، ط2، ص27.

6 ينظر: شلبي، رؤوف (ت:1414هـ)، **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، ن: مكتبة الأزهر، مصر، ط1، 1974م، ج1، ص266.

انقسمت النصارى إلى طوائف عدة، مختلفة العقائد والأقوال، يقول ابن القيم: "فَلَا نَعْلَمُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ أَشَدَّ اخْتِلَافًا فِي مَعْبُودِهَا وَنَبِيِّهَا وَدِينِهَا مِنْكم، فَلَوْ سَأَلْتَ الرَّجُلَ وَامْرَأَتَهُ وَابْنَتَهُ وَأَبَاهُ وَأُمَّهُ عَنْ دِينِهِمْ لَأَجَابَكَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِغَيْرِ جَوَابِ الْآخَرِ"1، وقد اتفقت الفرق النصرانية على جوهرية الله؛ بمعنى قيامه بنفسه غير متحيز بجهة، وذاته لا تقبل الحوادث، ولكنه ثلاثة بالأقنومية، وهي صفاته: الوجود وعبروا عنها بالأب، والعلم وعبروا عنه بالكلمة، والحياة وعبروا عنها بروح القدس2، "ففي اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين في الكمالات الإلهية، وممتازين في الاسم والعمل"3، ثم انقسم النصارى إلى ثلاث فرق عظيمة: الأولى: الملكانية؛ ويعتقدون بالتثليث، فالله في قولهم يتمثل في أب وابن وروح القدس، وأن عيسى إله تام وإنسان تام، وأن عيسى الإنسان هو الذي صُلب، بينما عيسى الإله باقٍ، وقد ولدت مريم الإله والإنسان معًا، وهو ابن الله، الثانية: النسطورية: نسبةً إلى نسطور، بطريرك القسطنطينية، ويعتقدون بمثل ما يعتقد به الملكانية، إلا أنهم يقولون إن مريم ولدت الإنسان وليس الإله، الثالثة: اليعقوبية، نسبةً إلى يعقوب البرذعاني، وكان راهبًا بالقسطنطينية؛ ويعتقدون أن عيسى هو الله تعالى نفسه، وأن مريم ولدت الإله، "وَلَعَلَّ مَعْنَى هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَلَّ فِي ذَاتِ عِيسَى وَاتَّحَدَ بِذَاتِ عِيسَى"4، ويقولون باختلاط وامتزاج روح الله تعالى ببدن عيسى، كاختلاط الماء باللبن5، فالكلمة انقلبت لحمًا ودمًا، وصار الإله هو المسيح6، وأن الله تعالى هو من صلب وقتل، ثم قام من قتله بعد ثلاثة أيام، وكان العالم بلا مدبر في هذه الأيام، وأنه من كان محمولًا في بطن مريم، وأقوالهم لا يمكن أن يقبلها العقل، فهي من باب المحال7، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

والثابت أن الفرق النصرانية على اختلاف عقائدها، غير متفقة على تصور للإله، فمنهم من يقول بامتزاج الناسوت واللاهوت، ومنهم من يعتقده إشراقًا، كإشراق الشمس على بلور8، ونتيجة لاستحالة الجمع بين التثليث والوحدانية، نقف على كلمات للقس بوطر، في رسالته المختصرة "الأصول والفروع"، والتي نقلها محمد أبو زهرة، يقول فيها بعد بيان عقيدة التثليث: "قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهمًا أكثر جلاءً في المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في

1 ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت:751هـ)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ت: محمد أحمد الحاج، ن: دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية، ط1، 1996م، ج2، ص533.

2 ينظر: الألوسي، محمود شهاب الدين أبو الثناء (ت:1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ن: دار إحياء التراث العربي، ج3، ص201.

3 أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص101.

4 الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص408.

5 ينظر: الرازي، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، ت: علي سامي النشار، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ص85.

6 ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص201.

7 ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت:456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ن: مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص48.

8 ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص201.

الأرض"[1]، وقد ذكر صاحب إظهار الحق قصة تكشف عن جهل النصارى أنفسهم بمعنى ما يدعونه؛ لأن ما يدعونه يستحيل عقلًا[2]، وحقيقة أقانيم اللاهوت غير مفهومة عند النصارى أنفسهم، فيصفها أحدهم قائلًا: "واكتفاء الله بذاته لإظهار كل صفاته عن طريق وحدانية الله وتعدد أقانيمه، نقول: إن هذه الحقيقة هي بالفعل فوق العقل والإدراك"[3].

المحور الأول: بين يدي سورة المائدة

نزولها: سورة المائدة هي السورة الخامسة في ترتيب المصحف، وهي سورة مدنية على اعتبار أن المدني هو ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل بغير المدينة[4]، وهي من أواخر السور التي نزلت بالمدينة، ورُوِي أنها نزلت "منصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، بعد سورة الممتحنة"[5]، ومن آياتها ما نزل في عام الفتح (8هـ) [6]، ومنها من نزل في حجة الوداع (10هـ)[7]، ورُوِي عن عائشة أنها قالت: "فَإِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَلَالٍ فَاسْتَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ"[8]؛ ولذا قال ابن تيمية: "سُورَةُ الْمَائِدَةِ أَجْمَعُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِفُرُوعِ الشَّرَائِعِ مِنْ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ"[9]، وذكر البغوي أن فيها ثمانية عشر حكمًا، لم ينزلها الله في غيرها من السور[10]، ومن تدبر موضوعات السورة، يظهر أن السورة نزلت في فترات مختلفة، ففيها الخطاب القوي لليهود، قبل كسر شوكتهم، والتخلص من بني قريظة، فهذا يعني وجود مقاطع نزلت قبل سورة الأحزاب، ومقاطع أخرى نزلت بين صلح الحديبية (6هـ) وفتح مكة (8هـ)، ومقاطع نزلت قبل غزوة تبوك (9هـ) وقبل نزول سورة التوبة التي أمرت بقتال المشركين ومنعهم من المسجد

---

1 أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص103.

2 ينظر: رحمت الله الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن (ت:1308هـ)، **إظهار الحق**، ت: محمد أحمد محمد عبد القادر، ن: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط1، 1989م، ج3، ص731.

3 رياض، يوسف، **ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي**، ن: لوجوس برنت سنتر، 1987م، ص28.

4 ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت:794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1957م، ج1، ص187.

5 ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت:1393هـ)، **التحرير والتنوير**، ن: الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج6، ص69.

6 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص143.

7 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ج1، ص75.

8 أخرجه **أحمد** في **مسنده**، ج42، ص353، رقم (74552)، وصححه الأرناؤوط في تحقيق المسند، والحاكم على شرط الشيخين في **المستدرك على الصحيحين**، ج2، ص340، رقم (3210).

9 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت:728هـ)، **مجموع الفتاوى**، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1995م، ج14، ص448.

10 ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن** (ت:510هـ)، ت: محمد عبد الله النمر، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ، ج2، ص5.

الحرام1، حيث نهت آيات من سورة المائدة عن صد الحجاج عن بيت الله الحرام؛ عقابًا على سوء صنيعهم مع المسلمين، فهذا التدبر يقطع بعدم نزول السورة جملة واحدة2، وإنما امتد نزولها خلال الأربع سنوات الأخيرة من حياة النبيﷺ.

تسميتها: سميت سورة المائدة بهذا الاسم؛ لأنها اشتملت على ذكر المائدة، التي سأل الحواريون عيسى أن يطلب نزولها من الله تعالى، وقصتها إشارة إلى أن الله تعالى لطيف بالمؤمنين، وشديد العقاب للكافرين3، والمائدة هي: "خِوَان عليه طعام، فإذا لم يكن عليه طعام فليس بمائدة"4، ومن أسمائها الاجتهادية: سورة العقود؛ إذ ذُكر هذا اللفظ في أول آية من السورة، حيث جاء الأمر الإلهي للمسلمين بالوفاء بالعقود، وتسمى سورة الأحبار5، واسم السورة ذو دلالة عظيمة على محاورها، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتأكيد على العقيدة الصحيحة، ومحاربة عقائد النصارى الباطلة6، ومثاله: ما تشير إليه الآية الأولى من السورة، إذ تأمر بالوفاء بالعقود، أي الوفاء بالعهود، كأن الله تعالى يشير للحواريين، بضرورة الوفاء بالعهد، الذي قطعوه على أنفسهم إذا أُنزلت عليهم المائدة، فقد عاهدوا الله على الإيمان الراسخ، والقلب المطمئن، إذا تحققت لهم هذه المعجزة، و"المائدة" فيها تذكير بالأطعمة، وقد بينت السورة الحلال منها والحرام، وأحكام الذبائح، والصيد وغيرها، فكأن اسم السورة إشارة للنصارى بتحري الطعام الطيب، إذ بدلوا في شريعة عيسى من بعده، وأحلوا الخنزير والخمر7.

فضلها: رُويت أحاديث عن فضل سورة المائدة، منها: عن عبد الله بن عمرو قال: "أُنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكبٌ على راحلته، فلم تستطع أن تَحْمِلَه، فنزل عنها"8، وقالت أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: "إِنِّي لَآخِذَةٌ بِزِمَامِ الْعَضْبَاءِ، نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْمَائِدَةُ كُلُّهَا فَكَادَتْ مِنْ ثِقَلِهَا تَدُقُّ بِعَضُدِ النَّاقَةِ"9، وهذه الأحاديث تدل على شرف الآيات، وثقل الوحي.

محاورها: تدور محاور سورة المائدة حول محورين رئيسين: المحور الأول: تشريع للمسلمين في أنفسهم وعباداتهم، وفي معاملاتهم لغيرهم، والمحور الثاني: محاجة اليهود والنصارى، وإبراز المنهج القرآني لدحض عقائدهم الفاسدة، مع سرد بعض من مواقف أهل الكتاب مع أنبيائهم؛ للعبرة والعظة10، وكل ذلك في امتزاج يدل على روعة الإعجاز التعبيري القرآني؛ حيث تنتقل

---

1 ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص194.

2ينظر: دروزة، محمد عزت (ت:1404هـ)، **التفسير الحديث**، ن: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1383هـ، ج9، ص9.

3 ينظر: المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم (ت:835هـ)، **تبصير الرحمن وتيسير المنان**، ن: مطبعة بولاق، مصر، 1295هـ، ج1، ص177.

4 الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ت: محمد علي النجار، ن: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج4، ص539.

5 ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت:885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ن: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج6، ص2.

6 ينظر: مسلم، مصطفى، وزملاؤه، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ن: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط1، 2010م، ج2، ص288.

7 ينظر: أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص119.

8 أخرجه **أحمد** في **مسنده**، ج11، ص218، رقم (6643)، وحسنه لغيره الأرناؤوط في تحقيق المسند.

9 أخرجه **أحمد** في **مسنده**، ج45، ص557، رقم (27575)، وحسنه لغيره الأرناؤوط في تحقيق المسند.

10 ينظر: شحاتة، عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976م، ص62.

موضوعات السورة من التشريعات، إلى القصص، إلى العلاقات الخارجية مع غير المسلمين، إلى تصحيح العقيدة، وإقامة الحجج والبينات، "وهكذا تلتقي الشرائع بالشعائر في سياق السورة بلا حاجز ولا فاصل"1، وكما كانت الشرائع التي سُنّت في هذه السورة الهدف منها حماية الفرد، والمجتمع المسلم من سلطة الهوى، ومن صخب الحياة الدنيا، جاء الفصل العقدي بين الإيمان والكفر جليًا في هذه السورة؛ لتتميز أمة الإسلام عن غيرها من الأمم2، وكل محاور السورة تؤكد على أن الحكم يجب أن يستند إلى ما أنزل الله تعالى فقط، وإلى دينه وسلطانه، فهذه السورة تؤكد على معنى الدين وجوهره، وتنص عليه نصًا، وتؤكد على دور الأمة المسلمة في تصحيح العقائد المنحرفة، وكشف زيفها3، وختمت السورة بجمع الرسل وشهادتهم على أقوامهم، وتَبَرُؤ عيسى من النصارى، وشهادته عليهم، وتَبَرئه ممن غالوا فيه ورفعوه إلى مرتبة الألوهية، والنهاية بالبعث والجزاء؛ ليتميز الكفر والإيمان.

ويظهر جليًا في السورة قوة المجادلة مع النصارى ومحاجتهم، وإيجاز المجادلة مع اليهود؛ مما يدل على قوة الاختلاط مع النصارى في وقت نزول السورة، وبدايات وهن اليهود، فقد كانت الفتوحات الإسلامية وصلت إلى حدود الشام حيث مشارف ملكهم4، وفي صحيح البخاري عن عمر: "وَكَانَ مَنْ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِ اسْتَقَامَ لَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَلِكُ غَسَّانَ بِالشَّأْمِ، كُنَّا نَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنَا"5، وسورة المائدة لم تسهب في الحديث عن المشركين، وعن تسفيه آلهتهم، وقصر عقولهم، كما تحدثت عنهم سورٌ أخرى، كسور الأنعام والأنفال؛ لأنه بالفعل في فترة نزولها كان الشرك إلى زوال، وكان المشركون لحقهم الذل والانكسار، وإنما اعتنت السورة بتنظيم العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم، من طوائف أهل الكتاب، فواجهتهم الآيات بحقيقة ما هم عليه من الكفر، وردت عليهم بالأدلة القاطعة، وفي نفس الوقت عملت السورة على اكتساب قلوبهم، فقد أحلت ذبائحهم، والزواج بالمحصنات من نسائهم، وقبول شهادتهم6.

الآيات (72 – 77) من سورة المائدة

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾

المحور الثاني: مناسبة الآيات للسياق.

---

1 قطب، سيد (ت:1386هـ)، **في ظلال القرآن**، ن: دار الشروق، ج2، ص982.

2 ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، **تناسق الدرر في تناسب السور**، ت: عبد القادر أحمد عطا، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص37.

3 قطب، **في ظلال القرآن**، ص984.

4 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص71.

5 البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب اللباس، باب ما كان على النبي يتجوز من اللباس والبسط، ج7، ص152، رقم (5843).

6 ينظر: شحاتة، عبد الله محمود (ت: 1424هـ)، **تفسير القرآن الكريم**، جامع الكتب الإسلامية، 2000م، ج1، صفحة 674.

افتتحت سورة المائدة بالأمر الإلهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، ثم توالت آيات السورة تبرهن على تجبر أهل الكتاب، وعصيانهم، وتمردهم على الوفاء بعقد الله تعالى، وهو التوحيد والتسليم له فيما أمر به ونهى عنه، وبينت السورة ضلالهم وكفرهم، وأنهم ليسوا على شيء من الحق، وأنهم لم يقيموا شرائع دينهم، ثم جاء تفصيل حال كل من الطائفتين، فجاء الحديث أولًا عن اليهود وقبح أفعالهم، فدلت آيات السورة أن الله تعالى يسر أسباب الهداية لهم؛ بإرساله الأنبياء، وإقامة الحجج عليهم، وأخذ المواثيق والعهود عليهم بطاعته وتوحيده، ولكنهم قابلوا ذلك بأفعالهم المشينة، فكان ديدنهم تكذيب أنبيائهم وقتلهم، فعموا عن الهدى فلم يتبينوه، وصموا عن الحق فلم يسمعوه، فاستحقوا اللعن والطرد من رحمة الله تعالى1.

ثم جاء الحديث عن النصارى، وعن فساد عقيدتهم في الإله، فبينت الآيات محل الدراسة كيف نقضوا عهدهم مع الله تعالى، باتخاذهم ربًا سواه، وأقامت الآيات الأدلة على شطط مقولتهم، وانطماس بصائرهم2، فكان ادعاؤهم ألوهية عيسى خرقًا لميثاق الله تعالى، وفي الآيات إخبارٌ أيضًا عن نقض بني إسرائيل لميثاقهم مع الله تعالى، فقد ابتلاهم الله بعيسى ابن مريم، ومعجزة خلقه بلا أب، وقد ظنوا أنهم لن يُفتنوا، فلما جاءهم الاختبار من الله تعالى، أشركوا مع الله ونقضوا ميثاقهم، وقالوا عيسى هو الله، جل الله تعالى عما يقولون3، فعَمُوا عن أدلة بشرية عيسى، وصَمُّوا من قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾4.

ولما بين الله تعالى كفر الطائفتين وأباطيلهم، خاطب جمعهم، بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: 77]، فالغلو الباطل سبيلٌ إلى الهلاك، والدين الحق وسط، بين الإفراط والتفريط، فاليهود كذبوا عيسى وأرادوا قتله، ورموا مريم بالفاحشة والزنا، والنصارى ألّهوا عيسى، ورفعوه فوق مرتبة العبودية، فجاءت الآيات مؤكدة على الشريعة المرضية عند الله تعالى، والتي خُتمت بها جميع الرسالات، وتكشف افتراءات النصارى التي تسعى إلى طمس حقيقة التوحيد، ثم توالت آيات السورة تتحدث عن أسلافهم، ولعنهم على لسان أنبيائهم.

ويلاحظ ذِكر ابْنَي آدم قبل التفصيل عن طبائع اليهود والنصارى، وأفعالهم القبيحة، وبينت الآيات كَتْب القصاص على بني إسرائيل؛ بسبب قتل قابيل لهابيل، وخُص بنو إسرائيل بالحديث؛ لجناياتهم وتعديهم على أنبيائهم بالقتل وسفك الدماء5، وفيه تذكرة للنصارى بقصة آدم، أبي البشر جميعًا، والذي من نسله صاحبا القصة المذكورة، فآدم خُلق من غير أب ولا أم، فكانت معجزة خلقه أدل على قدرة الله، من معجزة خلق عيسى بلا أب، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: 59]، وفي القصة إشارة إلى أن الحقد والحسد كانا الدافع الأساسي للشر، وفي ذلك تذكرة لبني إسرائيل، الذين امتلأت قلوبهم بالغل؛ فانحرفت عقائدهم وأقوالهم6، حتى إنهم عادَوا عيسى وحاولوا قتله.

---

1 ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص482.

2ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص408.

3 ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص480.

4 ينظر: المهايمي، **تبصير الرحمن وتيسير المنان**، ج1، ص196.

5 ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت:1250هـ)، **فتح القدير**، ن: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، ج2، ص39.

6 ينظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت:1394هـ)، **زهرة التفاسير**، ن: دار الفكر العربي، ج4، ص2005.

يتضح مما سبق النسيج المحكم الذي قامت عليه السورة، والدور المحوري للآيات محل الدراسة، فقد جاءت مجسدةً للغلو والانحراف، الذي رسم ملامحه ما سبق من آيات، وبعد أن وضعت الآيات محل الدراسة الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، جاءت باقي آيات السورة ترسخ هذا الأساس العقدي؛ بتبرؤ الرسل من أتباعهم الضالين المحرفين.

المحور الثالث: معنى الآيات، والأقوال التي وردت فيها

الآية (72): وردت عدة أقوال في الطائفة المقصودة بالآية (72) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 72]، قال مقاتل: إنها نزلت في نصارى نجران الماريعقوبية1، وقيل: إنها نزلت في المالكية واليعقوبية، وقيل: إنها نزلت في اليعقوبية على وجه الخصوص2، الذين قالوا باتحاد الله والمسيح اتحاد الذات، مما نتج عنه اتحاد الناسوت باللاهوت، فصارا كالشيء الواحد، فصارت الكلمة دمًا، وذلك هو قولهم: عيسى هو الله3.

و﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ هو عيسى، ووردت عدة أقوال في أسباب هذه التسمية، منها: قيل: أصل "المسيح" "الممسوح" فسماه الله بذلك لأنه طهره من ذنوبه، فمُسح من الذنوب التي عند الآدميين، وطهر منها، فهو ممسوح البدن من الخطايا، ولذلك قال مجاهد: المسيح هو الصديق4، وقيل: إنه كان أمسح الرجل، لا أخمص له، وقيل: المسيح بمعنى الماسح؛ فقد كان يمسح المرضى فيصحون، ويمسح الموتى فيحيون، وقيل: كان يمسح الأرض، أي يقطعها بالسياحة فيها، فسمي مسيحًا5، وقيل: لأنه وُلد "ممسوحًا بالدهن"6.

وافتتحت الآيات بالحكم الإلهي مباشرة، بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ﴾ [المائدة: 72]، مع إدخال لام القسم لتقرير كفرهم7، وتأكيد كذبهم في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، والكفر في اللغة بمعنى التغطية، أي أنهم غطوا الحق الذي جاء به الوحي، وما دلت عليه الأدلة من ألوهية الله تعالى، ونبوة عيسى وبشريته8، فستروا الأدلة العقلية والنقلية، فبين الله تعالى كفر الطائفة التي تزعم أن عيسى هو الله، وذكر الماتريدي وجهين في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾، أولهما: أنهم كفروا بعيسى؛ لأن عيسى كَذَّبهم بنفيه أنه ابن الله، وثانيهما: أنهم كفروا بعلمهم؛ لأنهم يعلمون يقينًا أنه ابن مريم، وليس ابن الله كما زعموا9، وضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

1 ينظر: ابن سليمان، مقاتل بن سليمان بن بشير (ت:150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ت: عبد الله محمود شحاته، ن: دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423هـ، ج1، ص463.

2 ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت:982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص65.

3 ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر (ت:548هـ)، **الملل والنحل**، ن: مؤسسة الحلبي، ج2، ص30.

4 ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج9، ص417.

5 ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت:327هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ت: أسعد محمد الطيب، ن: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، ج4، ص1122، رقم (6307).

6 مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت:437هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ت: مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، إشراف: الشاهد البوشيخي، ن: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 2008م، ج3، ص1813.

7 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص221.

8 ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص247.

9 ينظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (ت:333هـ)، **تأويلات أهل السنة**، ت: مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ج3، ص562.

اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ له عدة فوائد: الحصر، والتأكيد، والتمييز بين الخبر والصفة فيما يأتي بعده، فهؤلاء أكدوا أن المسيح هو الله تعالى، لا يتعداه، وعلى هذا يكون لفظ ﴿الْمَسِيحُ﴾ خبر 1.

جاءت الآية صريحة بنسب عيسى؛ لتأكيد كفرهم، فقال تعالى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وكأن الله تعالى يقول لهم: هذا هو عيسى بنسبه الذي تعرفونه، خُلق من أم وبلا أب، ولا عجب في ذلك فآدم عليه السلام خُلق بلا أب ولا أم، وأيدته بالمعجزات، كما أيدت غيره من الرسل، وهذه الفرقة تقول بالاتحاد، وتدين بأن الله تعالى جوهر واحد، وهو مجموع ثلاثة أقانيم، وكان نصارى الحبشة يدينون بهذه العقيدة، ومنهم نصارى نجران؛ ولهذا بدأ القرآن الكريم ببيان فساد عقيدتهم؛ لقربهم من بلاد العرب واختلاطهم بهم2، وكذلك لأن مقولتهم بالاتحاد أشد كفرًا من دعوى التثليث القائمة على الأقانيم الثلاثة3، التي بين الله تعالى كفر من اعتقدها بعد ذلك.

ثم يدعو المسيح بني إسرائيل، بالنداء: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وفيه إشارة إلى غفلتهم، فهم لا ينتبهون إلا إذا نودوا4، فيدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده، مع إقراره بعبوديته لله تعالى فقال: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي﴾؛ وذلك دفعًا لتوهم الاتحاد، "ولو بقيت الربوبية مع الاتحاد، فلابد من الفرق بين الربوبيتين لكنه نفى الفرق بقوله: ﴿وَرَبَّكُمْ﴾"5، فقال اجعلوا العبادة والتذلل لله وحده، مالكي ومالككم، وقد أقر بها عيسى وهو في مهده، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: 30]، وأقر بها بعد نبوته6، وإقرار عيسى بالعبودية لله تعالى مذكورٌ في أناجيلهم، ولكن تأبى العقول أن تستنير بنور الحق؛ ففي إنجيل يوحنا، الإصحاح العشرين: "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي، وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ"7، وفي إنجيل متى، الإصحاح السابع والعشرين: "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"8، وغيرها من النصوص صريحة الإقرار بعبودية عيسى، وانفراد الله تعالى بالألوهية. وقد ذكر العبادة أولًا، ثم ذكر الربوبية ثانيًا؛ لبيان أن الربوبية تستلزم الألوهية9.

ثم يحذرهم عيسى من الزيغ عن طريق التوحيد، بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾، ولفظ ﴿إِنَّهُ﴾ يفيد التعليل10، أي: أفردوا الله بالعبادة ووحدوه؛ لأنه من يشرك بالله في العبادة، أو في خصائص صفاته وأفعاله؛ كعلم الغيب

---

1 ينظر: العثيمين، محمد بن صالح (ت:1421هـ)، **تفسير القرآن الكريم (سورة المائدة)**، ن: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1435هـ، ج2، ص192.

2 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص153.

3 ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص247.

4 ينظر: العثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص196.

5 المهايمي، **تبصير الرحمن وتيسير المنان**، ج1، ص196.

6 ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص175.

7 **العهد الجديد**، إنجيل يوحنا، الإصحاح 20، فقرة 17، (يو20: 17).

8 **العهد الجديد**، إنجيل متى، الإصحاح 27، فقرة 46، (مت27: 46).

9 ينظر: العثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص196.

10 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص280

وإحياء الموتى، فمأواه النار، وتُحَرّم عليه الجنة، ويُمنع منها1؛ حيث إنها للموحدين فقط، وقيل: إن هذا كلام الله تعالى على سبيل الترهيب والوعيد2. وتذييل لإثبات كفرهم، وبطلان سبل معتقداتهم3. وفي الآية إثبات للعذاب الحسي، خلافاً لاعتقاد النصارى بالعذاب الروحي فقط4.

وعلى هذا ورد وجهان في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾،

أولًا: إنه من كلام عيسى حيث يؤكد أنه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾؛ فلا يجدون لهم شفيعًا ولا نصيرًا يوم القيامة، فلا أنصار بالمؤازرة ولا بالشفاعة، ولا من كائن يستطيع نصرتهم، وفي هذا بيان أن من ظلم الإنسان لنفسه أن يوردها موارد الهلاك، وذلك بشركه مع الله مالا ينصره، ولا ينجيه من عذاب الآخرة5،

ثانيًا: يُحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ إخبارًا من الله تعالى للنبي ﷺ على الاستئناف6، وقد قيل: إنه تعالى يخبر عن حال عيسى معهم، إذ إنه رد مقولتهم، ولم ينصرهم في قولهم على الرغم من تعظيمهم له، فأنكرهم وصرّح بسوء مآلهم7، والمراد بالظالمين هنا هم المشركون، بقرينة السياق، وتكون اللام للعهد؛ وذلك لأن الظالمين من المسلمين قد تجوز لهم شفاعة الشفعاء في الآخرة، وفي مقدمة الشفعاء النبي ﷺ8، وقد تكون اللام للجنس، والمشركون داخلون في جموع الظالمين9، وجُمع لفظ ﴿أَنصَارٖ﴾، بالرغم أن النكرة المفردة في سياق النفي تفيد العموم وتؤدي الغرض؛ للتنبيه على فساد اعتقاد النصارى في مفهوم الشفاعة، فهم يتكلون على أخذ الغفران من رسلهم ورجال كنائسهم ورهبانهم10، وفي هذا إشارة واضحة إلى فساد عقيدة الفداء، حيث يعتقد النصارى أن عيسى صُلب من أجل فداء البشر من خطيئة آدم عليه السلام، فتأتي الآية مبددةً أوهامهم، ومبينةً عجز المسيح أن يستنقذهم من النار إذا أُلقوا فيها.

1 ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت:538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ن: دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج1، ص663.

2 ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي (ت:745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، ت: صدقي محمد جميل، ن: دار الفكر، بيروت، ج4، ص329.

3 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص280

4 ينظر: الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم (ت:716هـ)، **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص225.

5 ينظر: العثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص203.

6 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص221.

7 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص66.

8 ينظر: زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد (ت:926هـ)، **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، ت: محمد علي الصابوني، ن: دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ج1، ص147.

9 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص66.

10 ينظر: رشيد رضا، محمد رشيد بن علي (ت:1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج6، ص400.

الآية (73): ثم شرع الله تعالى ببيان كفر طائفة أخرى، بإعادة قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾ [المائدة: 73] على الاستئناف، فهو تقريرٌ مؤكدٌ لكفرهم، والكلام في هذه الآية على من ادعوا التثليث، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾، وهناك وجهان لتفسير هذا القول: أولًا: في الآية إضمار، أي: يقولون إن الله ومريم وعيسى ثلاثة آلهة، فحُذف لفظ الآلهة1، فهم يعتقدون أن الله أحد الثلاثة، ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: 116]، وكان هذا المعتقد لجماهير النصارى قبل افتراقهم إلى الفرق الرئيسة: اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية، ثانيًا: كانوا يقولون بجوهر واحد وثلاثة أقانيم، "أبًا والدًا غير مولود، وابنًا مولودًا غير والد، وزوجة متتبعة بينهما"2، والثلاثة إله واحد، "وَعَنُوا بِالْأَبِ الذَّاتَ، وَبِالِابْنِ الْكَلِمَةَ، وَبِالرُّوحِ الْحَيَاةَ، وَأَثْبَتُوا الذَّاتَ وَالْكَلِمَةَ وَالْحَيَاةَ"3، وهي مقولة الملكانية وعليها معظم النصارى في الأرض4، وهذا كفرٌ بيّنٌ لا يرتضيه العقل السليم، وعدّ ابن أبي حاتم تفسير قول الكافرين في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾، بقول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، وقول النصارى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30] أحد أوجه التفسير5، وردّ ابن كثير تأويله، ووصفه بأنه قول غريب، والصحيح أن الآية أنزلت في النصارى6، وناسب الفعل الماضي في ﴿قَالُوٓاْ﴾ قوله ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾ لأن كفرهم كان في الزمن الماضي7.

ويعيب رشيد رضا على المفسرين المتأخرين نقل هذه الأقوال دون النظر إلى حال أهل زمانهم؛ إذ إنها تنافي الحال الذي عليه الفرق المسيحية في العصر الحديث، حيث إن عقيدتها الحالية: أن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة عين الآخر، فالمسيح هو عين الأب وروح القدس أيضًا8، ويقولون: "إِنَّهُ لَمَّا اتَّحَدَ بِمَرْيَمَ حِينَ حَمْلِهَا بِالْكَلِمَةِ تَأَلَّهَتْ مَرْيَمُ أَيْضًا، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفُوا هَلْ هِيَ أُمُّ الْكَلِمَةِ أَمْ هِيَ أُمُّ اللَّهِ"9.

ثم رد الله مزاعمهم بقوله: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، أي: لا معبود يستحق العبادة في هذا الكون سوى الله، الخالق المدبر الذي لم يكن له صاحبة ولا ولد، وذلك منصوص عليه في كل الكتب السماوية، ودخلت ﴿مِنۡ﴾ للتوكيد والاستغراق10، ولم تُصرح الآية بأن الله تعالى هو هذا الإله الواحد؛ لأنه قد تقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [آل عمران: 62]، فكان هدف الآية الرئيس هو إبطال التثليث، وقصر الألوهية على إله واحد، وبإثبات الوحدانية يثبت أن هذا الإله الواحد هو الله، فصدعت الآية

---

1 ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص408.

2 الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص482.

3 الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص409.

4 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص282.

5 ينظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص1179، رقم: (6645).

6 ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص158.

7 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص283.

8 ينظر: رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج6، ص401.

9 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص282.

10 ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج1، ص664.

بنفي الألوهية عن أي معبود آخر سوى إله واحد، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم تكن له صاحبةٌ ولا ولدٌ، وهذا ما يقتضيه الحق والعقل، قال الله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

كان ختام الآية تهديدًا للطائفتين معًا، بقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لأن الكفر يلحق كلًا منهما، ولهذا جاءت الآية بعموم الذين كفروا، ولم يقل "ليمسنهم"؛ حتى لا يُتوهم أن هذا التهديد مصروفٌ للطائفة الأخيرة فقط؛ فكل من يصر على هذا الكفر الصراح من أهل الكتاب، ولم ينته عن عظيم قوله في الله، فقد أقسم الله تعالى على أن ليس له جزاء إلا العذاب في الدنيا بالقتل والسبي، والعذاب في الآخرة بدخول جهنم والخلود فيها، مع التوبيخ والعذاب النفسي المهين، وهذا التهديد لا مفر منه، ولا منقذ1، ومعنى ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: يعتقدون، فالامتناع عن القول وحده، مع اضماره واعتقاده في القلب، لا ينقذ من العذاب2، و"الانتهاء" في الآية يتضمن أمرين: أولًا: العدول عن القول، وثانيًا: أن ينتهوا عن اعتقاده والإيمان به3، و"من" في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ للبيان، وعليه يكون المراد: "ليمسنهم"، والهدف منها الاحتراس؛ لئلا يُتوهم أن هذا العذاب مصروف لكافرين آخرين4، ويجوز أن تكون "من" للتبعيض5؛ حيث إن العذاب خاصٌ بمن أصر منهم على كفره، أما من تاب ورجع إلى حقيقة التوحيد فله جزاء الحسنى، وانتُقد هذا القول؛ ذلك بأن من أسلم من النصارى لا يُعد منهم، ولن تكون الآية خطابًا له، ولكن لفظ ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أخرج من مجموع النصارى الطائفة البائدة الموحدة، التي كانت تقول بنبوة عيسى وبشريته، لا بألوهيته6.

وقد قُدم الإنذار والوعيد بالعذاب في هذه الآية، على الاستدلال العقلي على فساد أقوالهم في الآيات الآتية، دلالة على أن هذه الأقوال في غاية البطلان، وفسادها واضح للعيان، حتى إنها لا تحتاج إلى برهان7، فلم يدخل القرآن معهم في جدل؛ لأن قولهم اعتمد على تخيلات وأوهام، ولم يقم على أساس فكري، والوعيد والتهديد يجبر الإنسان على التفكر في العواقب، فيقلب النظر في الأمر.

ويُلاحظ الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء: 171]، وبين هذه الآية، فآية النساء فيها نهي عن القول بالتثليث، ووعيد وإنذار، بينما هذه الآية فيها تقرير صريح بكفر من قال هذا القول، واعتقد فيه8، ولهذا لا يجوز لنا نحن المسلمين أن نقول: إن اليهود والنصارى ليسوا كفارًا؛ لأن الله نص صراحةً على كفرهم، أما اليهود المؤمنون: فهم من تابعوا موسى

1 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص222.

2 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص283.

3 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2309.

4 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص284.

5 ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج1، ص665.

6ينظر: مغنية، محمد جواد (ت:1400هـ)، **التفسير الكاشف**، ن: دار الأنوار، بيروت، ط4، ج3، ص104.

7ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص330.

8ينظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج9، ص192.

وآمنوا بالتوراة، حتى مجيء عيسى، فلما أُرسل عيسى كان من كفر به، ولم يتبعه، وتمسك بالتوراة، كان كافرًا، وأما النصارى المؤمنون: فهم من تابعوا عيسى وآمنوا بالإنجيل، حتى مجيء النبي ﷺ، فمن لم يتبع النبي ﷺ، كان كافرًا1.

الآية (74): ثم تأتي رحمة الله الواسعة بعد الإنذار السابق؛ فيحض الله هذين الفريقين الكافرَيْن على الاستغفار من الشرك، والتوبة والإنابة2، بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: 74] أي: أفلا يندمون على شركهم، ويرجعون عن غيهم، وقيل: الهمزة في لفظ ﴿أَفَلَا﴾ أصلها استفهام، وهي للإنكار؛ لتقريعهم على شركهم وضلالاتهم3، وقيل: أمر على صيغة الاستفهام4، وقيل: الاستفهام للعرض، أي أن الله تعالى يعرض عليهم التوبة، وهذا أليق بكرم الله5، ودخول ﴿إِلَى﴾ في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأن أصل التوبة: الرجوع والإنابة إلى الله، فإن فعلوا فتح لهم أبواب رحمته، ويقول ابن تيمية في الفرق بين التوبة والاستغفار: "فَإِنَّ الِاسْتِغْفَارَ هُوَ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الدُّعَاءِ وَالسُّؤَالِ، وَهُوَ مَقْرُونٌ بِالتَّوْبَةِ فِي الْغَالِبِ، لَكِنْ قَدْ يَتُوبُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَدْعُو، وَقَدْ يَدْعُو وَلَا يَتُوبُ"6، وفي المفردات: "والتَّوْبَةُ في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة"7، فباجتماع هذه الشروط الأربعة، تكتمل شروط التوبة النصوح، ويصف الله تعالى نفسه بأنه ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، أي: غفور للذنوب، ورحيم بعباده المؤمنين، وجمعت هذه الجملة عدة دلالات، ففيها: حثٌّ لهم على الإسراع بالتوبة، وطمأنةٌ لهم أن الله سيتقبلهم في عباده الصالحين إن تابوا8، وإنكارٌ على تباطئهم في التوبة، بعد ثبوت بطلان دعاويهم ومعتقداتهم، ويُلاحظ انقطاع كلام المسيح السابق وانتهائه، وعدم العودة لكلامه مجددًا، مما يشعر بمضيه لسبيله ولنهايته، وينبه على فنائه9.

(الآية 75): ثم خاطب القرآن عقولهم، بخبر منه تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: 75]؛ ليكون حجة للنبي ﷺ في حواره مع طوائف النصارى، فقرر أن عيسى كغيره من الرسل، أجرى الله على يديه المعجزات، كما أجرى على أيدي غيره من الأنبياء، فإن كان عيسى أحيا الموتى، فإن موسى انقلبت عصاه وهي جماد إلى ثعبان مبين، فكما لم

1ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص284.

2 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص222.

3 ينظر: الحاكم الجشمي، المحسن بن محمد بن كرامة (ت:494هـ)، **التهذيب في التفسير**، ت: عبد الرحمن بن سليمان السالمي، ن: دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2018م، ج3، ص2042.

4 الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص409.

5 ينظر: العثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص210.

6 ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت:728هـ)، **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ت: محمد رشاد سالم، ن: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1986م، ج6، ص211.

7 الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ت: صفوان عدنان الداودي، ن: دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412هـ، ص169.

8ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص484.

9 ينظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت:471هـ)، **دَرْجُ الدُّرر في تَفْسِيرِ الآيِ والسُّوَر**، ت: وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن وإياد عبد اللطيف القيسي، ن: مجلة الحكمة، بريطانيا، ط1، 2008م، ج2، ص683.

يكن هؤلاء الأنبياء آلهة، كذلك عيسى ليس بإله، فهو له صفات البشر، ولدته أمه كما تلد الأمهات أبناءهن1، وقد وردت عدة أقوال حول معنى قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ فقيل: كانت مريم تصدق بأنبياء الله جميعًا ورسله، وقيل: كانت تصدق بمنزلة ولدها، ونبوته، وما أخبرها الله عنه، وقيل: كثيرة الصدق، وقيل: صدقت جبريل حين جاءها بالبشارة2، وقال الفراء أي: أنها كانت كالنبي؛ إذ وقع عليها اسم الرسالة، فقد أرسل الله لها جبريل وكلّمته وصدقته، لقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: 17]، فكما وقع التصديق على الأنبياء، وقع عليها أيضًا3، وقيل: وُصفت مريم بالصديقة؛ لأنه يُقال لكل مؤمن صديق4، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: 19] ، واختلف المفسرون حول نبوة مريم، فمن نفى نبوتها استدل بوصفها "صديقة"، ولا شك أن مرتبة النبوة أعلى من مرتبة الصديقية، قال الأصفهاني: "فَالصِّدِّيقُونَ هم قوم دُوَيْنَ الأنبياء في الفضيلة"5، وذلك مفاد من قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: 69]، فلو كانت نبية، لوُصفت بالنبوة من باب التشريف، كما وُصف عيسى في نفس المقام بالرسالة؛ حيث ذُكر بأشرف وصف له6، وقد حكى ابن كثير الإجماع على أن الأنبياء لا يكونون إلا رجالًا7.

وفي قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ ردٌ على كلٍ من اليهود والنصارى؛ حيث أُثبت نسب عيسى إلى أمه، ووُصفت مريم ب﴿صِدِّيقَةٞۖ﴾، فالطائفة الأولى قذفتها وافترت عليها، والطائفة الثانية ألّهتها وعبدتها، بينما يأتي القرآن يقرر حقيقتها البشرية، ويبرؤها من كل دنس، ويصفها بالجميل من الصفات8، ويثبت اصطفاءها من بين نساء العالمين؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]، والمقصود من وصف مريم بالصِدّيقة، نفي اتصافها بالألوهية، كأنها حُصرت في مرتبة الصديقين، لا تتعداها9.

ثم بينت الآية حاجة عيسى وأمه إلى الطعام، بقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، فهما كسائر البشر، يحتاجان إلى الطعام للبقاء والتزود بالطاقة، وإلا يكون الضعف والهزال، ومن تكون تلك صفاته فمؤكد ليس بإله، وقالت النصارى: كان عيسى يأكل

1ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص484.

2 ينظر: الحاكم الجشمي، **التهذيب في التفسير**، ج3، ص2044.

3 ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت:207هـ)، **معاني القرآن**، ت: أحمد يوسف النجاتي، ن: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1، ج1، ص318.

4 ينظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج3، ص567.

5 الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، ص479.

6 ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص568.

7 ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص159.

8ينظر: دروزة، **التفسير الحديث**، ج9، ص193.

9 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص286.

بناسوته لا بلاهوته، ويُرد عليهم بأن هذا يدعو إلى الاختلاط1، وأن هذا يستدعي أن يكون جسد المسيح أكبر مما هو فيه، حتى يحيط الحال بالمحل، وإلا كان جسد الإنسان أعظم من ذات الإله، وهذا محال في حق الله2.

ثم قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ﴾، فقيل الخطاب للنبي ﷺ، أي: انظر يا محمد كيف بعد هذه الآيات، وقيل: الخطاب "لكل من كان له أهلية ذلك"3، أي: أهل القرآن، وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: يُصرفون، ويقلبون، ويكذبون4، وفي المفردات: "الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه"5، وفيه دلالة على أن الله تعالى هو الذي صرفهم عن الحق؛ فهم مصروفون عن إدراكه، فالإنسان الحصيف لا يصرف نفسه عن الحق إلى الضلال6، و﴿أَنَّىٰ﴾ بمعنى "كيف" في هذا الموضع، فعدل القرآن عن إعادة "كيف" تفننًا، ويجوز أن تكون بمعنى "من أين"، وحذف متعلق ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ للاختصار7.

قال الماتريدي: "وليس في القرآن، والله أعلم، آية أكثر ولا أبين احتجاجًا على النصارى وأُولَئِكَ، ولا أقطع لقولهم من هذه الآية"8؛ لأنها جمعت أربعة أدلة: أولًا: نسب عيسى إلى أمه، والإله لا يكون ابنًا لآخر، ثانيًا: نبوة عيسى، وقد أُرسل قبله الرسل مؤيدين بالمعجزات، فلم يكن بدعًا منهم، ثالثًا: احتياجهما للطعام للبقاء، رابعًا: احتياجهما لقضاء حاجتهما بعد الطعام، ومن كان هذا حاله فليس بإله، وإن كان ابن عطية استبشع قول القائل: إن قوله: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ كناية عن قضاء الحاجة9، ووصفه الرازي أيضًا بالضعف، لعدة أوجه: أولًا: لا يشترط وجود الحدث كنتيجة للأكل، فأهل الجنة يأكلون ولا يحدثون، ثانيًا: الافتقار إلى الطعام دليل على النقص البشري، فلا حاجة إلى جعله كناية، وصرفه إلى معنى أخر10، ونلمس في الترتيب الإلهي للآيات معجزة في البيان؛ فالله تعالى قرر كفرهم أولًا، ثم حضهم على الإسلام ثانيًا، ثم بين لهم الآيات وحل شبههم ثالثًا11.

الآية (76): ثم زاد الله في إقامة الحجة عليهم، فبعد أن بين الله تعالى استحالة كون عيسى وأمه إلهين لقصور الذات، سيُظهر استحالة ذلك أيضًا بسبب الصفات؛ وهي العجز عن النفع والضر، فقال: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا﴾ [المائدة: 76]، فما جرى على أيدي المسيح من معجزات فهي بتمكين الله تعالى له، أما هو فلا يملك شيئًا من دون الله، وقد

---

1 ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ص250.

2 ينظر: الطوفي، **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**، ص226.

3 الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص374.

4 ينظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت:450هـ)، **النكت والعيون**، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص57.

5 الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص79.

6 ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص410.

7 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص287.

8 الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج3، ص567.

9 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص222.

10 ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص410.

11 ينظر: النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت:850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ت: الشيخ زكريا عميرات، ن: دار الكتب العلميه، بيروت، ط1، 1416هـ، ج2، ص623.

أعرض عنهم في الخطاب فلم يخاطبهم مباشرة، إشارة إلى أنهم في ضلالهم، ليسوا أهلًا للخطاب المباشر من الله تعالى1، وقيل: ﴿لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ إن عصيتم أمره، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ إن اتبعتم أمره2، بل الإله الحق المستحق للعبادة، هو الذي بيده مقادير كل شيء، وجاء التعبير بلفظ ﴿مَا﴾ لعدة أسباب: قيل: ليشمل كل شيء عُبد من دون الله، العاقل وغير العاقل؛ فيشمل عيسى وأمه، ويشمل روح القدس، وقيل: للإشارة إلى وقت وجود عيسى جنينًا في الرحم، لا يعقل شيئًا، وقيل: إشارة إلى النوع، أي: يعبدون من دون الله النوع الذي لا ينفع ولا يضر3، وقيل: المراد توبيخ النصارى على عبادة الصليب، وما كان على شاكلته4.

وذكر الرازي وجوهًا عدة من الحجج في الآية: أولًا: من المعلوم أن اليهود كانوا يضطهدون عيسى، ويعادونه، ويحاولون إيذاءه، فلم يستطع أن يدفع كيدهم، وعلى الجانب الآخر، كان له أنصار وحواريون، فلم يستطع نفعهم، فكيف يكون إلهًا؟ ثانيًا: النصارى في عقيدتهم يؤمنون أن اليهود صلبوا عيسى وعذبوه، فكيف يكون إلهًا وهو لم يستطع أن ينجي نفسه، ويجنبها موارد الهلاك؟ ثالثًا: صلاح عيسى، وانشغاله بالعبادات والصلوات، ثابتٌ عندهم، فكيف يكون إلهًا وينشغل بمن سواه؟5.

وجاء التعبير القرآني نافيًا عبادتهم لله تعالى في قوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، مع أن المشركين يزعمون أنهم يتخذون الأصنام وسطاء ليشفعوا لهم عند الله تعالى، فيقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]، والنصارى أيضًا منهم من يقول الله إله وعيسى إله، فلم ينفوا ألوهية الله تعالى؛ والسبب في ذلك أن العبادة تقتضي إفراد الله تعالى وحده بها، وعدم الإشراك به6، وفي الحديث القدسي، يقول الرب تبارك وتعالى: " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"7.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم الباطلة، والسميع لاستغفارهم إذا استغفروه، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ لما في نفوسهم وصدورهم، والعليم لتوبتهم، إذا تابوا ورجعوا إلى الله8، ويُحتمل أن يكون تأويل الآية: إنكم تُقِرون أن عيسى في طور من أطوار حياته، كان جنينًا في بطن أمه، لا يملك من الأمر شيئًا، ولا يسمع ولا يعلم شيئًا، ولكن الله تعالى لم يزل هو السميع العليم، فتدل الصفتان على قصور عيسى، وكمال الله تعالى9، وكذلك فيهما تحذير من العقوبة والجزاء، وحث على التوبة، ولما كان إشراكهم يتضمن القول والاعتقاد، جيء بصفتي السمع والعلم، ليبين إحاطة الله التامة بأحوالهم.

---

1 ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص257.

2 ينظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج3، ص568.

3 ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص334.

4ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص374.

5 ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص410.

6 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2314.

7 مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، باب: استحباب الاستغفار، ج4، ص2289، رقم (2985).

8ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص487.

9ينظر: النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت:338هـ)، **إعراب القرآن**، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ن: نشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، ج1، ص278.

الآية (77): ويختم الله تعالى بيان ما فصله من العقائد الفاسدة لليهود والنصارى، بخطاب عام لهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: 77] يعني: قل يا محمد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، في زمن النبي ﷺ ومن جاء بعده، آمرًا لهم، ألا يغلو في الدين، والغلو هو مجاوزة حد الحق في القول والفعل؛ وهو سبب الضلال، ودين الله وسط بين طرفي الغلو والتقصير1، ولا يُتوهم أن مقصود الآية: الأمر بتجنب الغلو في دينهم الذي هم عليه بالفعل، ولكن المقصود تجنب الغلو في الدين الحق الذي يجب اتباعه، الدين الذي دعا إليه موسى وعيسى2، والغلو في الدين المنهي عنه في قوله: ﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ هو الغلو الباطل، الذي يتمثل في الغلو في العقيدة والعمل؛ فغلو الاعتقاد هو الذي دفع اليهود إلى الكفر بعيسى ومحاولة قتله، ومن قبله قتل زكريا ويحيى وغيرهم من أنبيائهم، وهو الذي دفع النصارى إلى تأليه عيسى، ورفعه فوق مرتبة النبوة، وادعاء أن لله تعالى صاحبة وولدًا، وغلو العمل هو الذي دفع أهل الكتاب إلى متابعة أحبارهم ورهبانهم، فيما ابتدعوه من التحليل والتحريم والرهبانية، كشرع عبادات لم يشرعها الله تعالى، فكان ابتداعهم في الدين هوًى وضلالة، وزينوها لأتباعهم، فضلّوا وأضلّوا3، وضرب ابن عاشور أمثلة على غلوهم الذي أرداهم وعدلهم عن الطريق، منها: حبر اليهود الذي حكم على عيسى بالقتل وكفره، ومنها: المجمع الكنسي الذي أقر عقيدة التثليث وصدّق عليها، فكلها ضلالات وأهواء وانحرافات، فحادوا عن الإسلام، ولم يسلكوا سبيله، وتمسكوا بمتشابهات الإنجيل، ولم يردوها إلى المحكمات4.

وينهاهم الله بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: لا تتبعوا أهواء أسلافكم من الأحبار والرهبان، الذين سبقوكم بالانحراف عن سبيل الهدى والرشاد، وأضلوا الناس بافتراءاتهم، فضَلَّ اليهود ولم يتبعوا الحق، وضل النصارى كذلك ولم يتبعوا الحق، الحق الذي جاء به عيسى ومحمد ﷺ من بعده، فكفروا بالله وكذبوا رسله، وقيل: المقصود بالضالين المضلين هم اليهود5، فكأنهم باتباع أهوائهم قد ضلوا مرتين: ضلوا قبل الإسلام بفتنة عيسى ابن مريم، وبعد الإسلام بصدهم عن سبيل الله، وحسدهم النبي ﷺ، وتكذيبهم له6، ولم يكتفوا بذلك بل أضلوا غيرهم أيضًا، ويجوز أن يكون الضلال الأول ضلال الابتداع واتباع سنن الأسلاف الضالين، والضلال الثاني جهل حقيقة الدين وأركانه7، والهوى ما تدعو إليه شهوة النفس،

1 ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص410.

2 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص223.

3 ينظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت:543هـ)، **أحكام القرآن**، علق عليه: محمد عبد القادر عطا، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م، ج2، ص141.

4 ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت:1332هـ)، **محاسن التأويل**، ت: محمد باسل عيون السود، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، ج4، ص219.

5 ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص335.

6 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص291.

7 ينظر: رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم**، ج6، ص405.

فلا تلتفت إلى الحجة والدليل1، وإذا كانت الهاء فاءً للكلمة والواو عينًا لها دلتا على معنى السقوط والانحدار2، واتباع الهوى والحرص على الدنيا شهوات مضلة مهلكة، والهوى لم يأت في القرآن إلا مذمومًا، وتستعمله العرب في الشر فقط3، وقد اجتمع اليهود والنصارى في اتباع الهوى، وإن كانوا فريقين متضادين في سمات غلوهم.

وقال آخرون كمقاتل والطبري وابن عطية وغيرهم: الآية نزلت فقط في النصارى، مُتابِعة للآيات التي سبقتها، والكتاب هو الإنجيل، ويكون القوم الذين ضلوا من قبل هم اليهود، الذين افترَوا على مريم الصديقة، وقد أضلوا كثيرًا من الناس، وصدوهم عن الإيمان بالله وبأنبيائه عيسى ومحمد ﷺ4. واستبعد هذا القول أبو حيان، ووصفه بأنه تخصيص لعموم لا داعي له، وردّ أيضًا تأويل من قال: الضلال الأول في الآية هو ضلال عن الدين، والثاني هو ضلال عن السبيل الموصل إلى الجنة5.

والخطاب قاصرٌ على أهل الكتاب فقط دون المشركين؛ لأن أهل الكتاب زعموا أنهم أهل دين سماوي، وأنهم متبعين للرسل والوحي الإلهي، فجاء النهي عن متابعة تعاليم ملتهم المحرّفة، وأهوائهم الفاسدة، أما أهل الشرك فلا دين لهم، ويعبدون ما يرونه حسنًا بحسب عقولهم6، وقد توقف القاسمي عند استنباطات الآية، فرأى فيها تعليمًا وإرشادًا للمسلمين أيضًا، وحثًا لهم على تجنب الغلو في الدين7.

وفي الآيات (72 – 77) إشارة إلى جريمة بني إسرائيل في حق عيسى، إذ إنهم كذبوه وأرادوا قتله، ولم يستجيبوا لرسالته إذ قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ [الصف: 6]، واضطهدوا النصارى من بعده، حتى ضاعت الأصول الصحيحة للمعتقد، وتسربت التحريفات إلى النصرانية، وباتت وثنيات بغيضة، فأشركوا في ذات الله، وفي الخلق، وفي العبادة8.

ومن الملاحظ أن تسمية "المسيحية" لم ترد في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة، ولم تظهر في كتب المفسرين، فيما بدا لي، إلا في القرن الرابع عشر الهجري9، ثم توالى استخدام هذه التسمية للتعبير عن أتباع النصرانية المحرفة.

---

1 ينظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (ت:311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ت: عبد الجليل عبده شلبي، ن: عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988م، ج2، ص197.

2 ينظر: درويش، محيي الدين بن أحمد (ت:1403هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، ن: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، و(دار اليمامة، دمشق، بيروت)، و(دار ابن كثير، دمشق، بيروت)، ج2، ص536.

3 ينظر: النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت:338هـ)، **معاني القرآن**، ت: محمد علي الصابوني، ن: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ، ج2، ص346.

4ينظر: بن سليمان، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج1، ص496؛ الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص488؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص223؛ ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ...﴾ [المائدة: 77]

5ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص336.

6ينظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج3، ص569.

7ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج4، ص218.

8 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2305.

9 يراجع: القاسمي، **محاسن التأويل**، ينظر على سبيل المثال: تأويل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ...﴾ [النساء: 171]؛ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ ....﴾ [الحديد: 27]

وهكذا جاءت الآيات صريحة أمام الاعتقادات الفاسدة، والمذاهب الباطلة، فحدت حدًا فاصلًا بين الدين الحق والدين الباطل، وجعلت الإيمان واعتناق الإسلام في مقابل الكفر، والكفر بكل أشكاله وصوره لا يُقبل عند الله تعالى، فلا يمكن الدعوة إلى وحدة الأديان، أو قبول ما يسمى بالديانة الإبراهيمية، أو توهم أنه يمكن الاتحاد مع اليهود والنصارى في مقابل الإلحاد، فالدين عند الله الإسلام، وما سواه كفر وافتراء على الله، ودلت الآيات دلالة ساطعة على أنه يجوز الحجاج في الدين لإظهار الحق، سواء أكان مع الكافر لإعلاء كلمة الدين، أم مع المسلم لرده إلى الطريق القويم، وليس لطلب الرفعة والجاه1.

المحور الرابع: الأحكام العقدية في آيات الدراسة

أولًا: الشرك حائلٌ بين الإنسان وبين الفوز بجنة الرضوان، فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: 72]، وفي حديث جابر قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: "مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ"2، وفي حديث النبي ﷺ: "الدَّوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ: فَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَالْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾"3 [النساء: 48]، فالشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله تعالى، ولا يُمحى إلا بالتوحيد، والإقرار أنه لا معبود بحق سوى الله، فتحرم الجنة على المشرك، وفي حديث النبي ﷺ: "أنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ"4، فتكون الجنة فقط لأهل التوحيد، "فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها"5، والكفر لا يقتصر فقط على الاعتقاد، وإنما يدخل أيضًا في الأقوال، "فإنَّ معصية النُّطق يدخل فيها الشِّركُ وهو أعظمُ الذنوب عندَ الله"6، قال النبي ﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ"7.

ثانيًا: تقرير كفر النصارى، الذين لم يؤمنوا برسالة النبي ﷺ، فقد جاءت الآيات كاشفةً عقائدهم، ومُجَليةً إفك أقوالهم، وتجرءهم على الله تعالى؛ فهم يزعمون أن لله ولدًا، وأن المسيح هو الله، ويقولون بالتثليث، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والجملة ﴿لَقَدْ كَفَرَ﴾ مؤكدةٌ بثلاثة مؤكدات: باللام، وقد، والقسم المقدر في الموضعين، حتى لا يزعم زاعم أن هذا ليس كفرًا8، وفي حديث

1ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج4، ص218.

2 مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ج1، ص94، رقم (93).

3 الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد (ت:405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج4، ص619، رقم (8717)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بتعليقه على رواة الحديث، بقوله: صدقة ضعفوه وابن بابنوس فيه جهالة.

4 البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ج8، ص110، رقم (6528).

5 ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت:751هـ)، **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، ت: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، ن: دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن حزم (بيروت)، ط5، 2019م، ج1، ص41.

6 ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت:795هـ)، **جامع العلوم والحكم**، ت: محمد الأحمدي أبو النور، ن: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2004م، ج2، ص814.

7 البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج8، ص100، رقم (6477)، واللفظ له؛ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ج4، ص2290، رقم (2988).

8 العثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص192.

أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"1، وكفر النصارى أشد أنواع الكفر وأقبحه، وأحكام القرآن كلية، ولهذا لم تأت الآية: (لقد كفر النصارى)، ولكن بتقرير الحكم العام: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾2.

ثالثًا: باب التوبة من جميع الذنوب مفتوح للعباد، فيقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: 74]، فإذا كان الله تعالى يتوب على الكافر فمن دونه أولى، ووصف الله نفسه بالغفران والرحمة، وفي حديث النبي ﷺ: "مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ"3.

رابعًا: النهي عن الغلو في الدين؛ فهو يؤجج في النفوس خمائر الظلم والبغي، ويقصم الدين، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: 77]، فالغلو: الزيادة عن المتعارف عليه في الفعل عقلًا، أو عادةً، أو شرعًا4، و"الغالي" يقابله "القالي" في طرف التفريط5، والدين الحق يكون باتباع الوحي الإلهي، ولا يكون بالتشديد على النفس واتباع الهوى، فالدين متين فيجب أن نوغل فيه برفق، والشيطان قاعد على الصراط، همه صرف الناس عنه، وليس همه إلى أيّ الشقين يميلون.

خامسًا: النهي عن التقليد الأعمى، واتباع سنن الآباء بلا تفكير ولا روية؛ ففيه اتباعٌ للهوى، وتمهيدٌ للشر المستطير، وإضعافٌ للدين، وإذهابٌ لليقين، ففي حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ"6، ومن أمثلة هذا الغلو تعظيم قبور الصالحين، حتى صارت كالأوثان؛ يُذبح لها، ويُطاف حولها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: 77].

المحور الخامس: المعالم البلاغية في الآيات

تضافرت الأساليب البيانية في الآيات؛ لتؤكد على ضلال المعتقد، وترشد إلى سبيل الحق، وتؤسس للحجة، وتخاطب العقل والنفس معًا، وبيان ذلك كالآتي:

–افتتح الله تعالى الآيات بتقرير أشد الأقوال كفرًا، وهو دعوى الاتحاد وألوهية عيسى، فهذا القول أنفى للإله من دعوى الأقانيم الثلاثة، وألحقت لام القسم في قوله: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾؛ قسمًا من الله تعالى على كفرهم، وفي هذا بيانٌ لشدة إجرامهم7، قال الزمخشري: "قولهم: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ" معناه بت القول، عَلَى أَنَّ حَقِيقَةَ اللَّهِ هُوَ الْمَسِيحُ لَا غَيْرُ"8، وسمى ابن عاشور هذا التركيب

1مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، ج1، ص134، رقم (153).

2 العثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص199.

3 مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: استحباب الاستغفار، ج4، ص2076، رقم (2703).

4 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص290.

5 ينظر: الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت:1412هـ)، **الميزان في تفسير القرآن**، ن: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ج6، ص76.

6 البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بين إسرائيل، ج4، ص169، رقم (3456)، واللفظ له؛ مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب العلم، ج4، ص2054، رقم (2669).

7 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج2، ص221.

8 الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج1، ص617.

بحمل المواطأة، وهو ما يسمونه بحمل "هُوَ هُوَ" في المنطق، أي أن كلًا من المسند والمسند إليه معروفٌ للمخاطب، وذلك لتأكيد الاتحاد1، فحرف "إن" وضمير الفصل "هو" يفيدان زيادة التأكيد، على أن هذا القول نابع من عقيدة واعتقاد، باتحاد اللاهوت بالناسوت.

–أفاد التقديم في قوله تعالى: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ [المائدة: 72] دلالة عظيمة، فقد بدأ عيسى بما أراد أن يؤكد عليه، فأنكر ألوهيته، وأثبت بشريته وعبوديته2.

–إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾؛ للتهويل والإنذار، وإدخال الرعب في القلوب من الله المنتقم الجبار3، وفي هذا التعبير القرآني "استعارة تبعية للمنع إذ لا ثمة تكليف"4.

–جمع الله تعالى في قوله: ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ بين العقوبة السلبية؛ وهي المنع من دخول الجنة أبد الآبدين، والعقوبة الإيجابية؛ وهي دخول النار مخلدًا فيها أبد الآبدين، فتكتمل صورة العذاب، ويكون أبلغ في الإنذار5.

–الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: 72]؛ للتأكيد على أنهم ظلموا أنفسهم بشركهم6، وهذا التذييل البديع جاء مؤكدًا لمعنى الآية ومقررًا لها، حيث إن نفي نصرة الجمع الكثير، يتضمن نفي النصير الواحد من باب أولى، وفي هذا سخرية منهم، وتهكم عليهم7، و"من" تفيد الاستغراق.

–كرر الله تعالى قوله: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ﴾ مرتين؛ للتأكيد على كفر كل طائفة، وفساد عقائد كل منهما، ولبيان أن كفر الطائفة الأولى يختلف عن كفر الثانية.

–وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [المائدة: 73] أبلغ من عبارة: "لا إله إلا إله واحد"؛ إذ إنه أشد تأكيدًا للنفي، وأبلغ أسلوبًا للقصر، ففيه إغراق في النفي؛ لوجود ﴿مِنۡ﴾ بعد ﴿مَا﴾8، فهو خبر يصدع بالحق، و﴿مِنۡ﴾ للتأكيد9، وتفيد معنى الاستغراق، وحصر الله تعالى الألوهية في صفة وحدانيته؛ لتأكيد الرد على النصارى، ودحض أقوالهم10.

–قال تعالى: ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: 73]، الأسلوب مؤكد بالقسم، والنون المؤكدة؛ للتأكيد على أنه لا فرار، ولا عصمة من أمر الله، ومعقود القسم على لفظ ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾ لتقرير العذاب، وجاء هذا الوعيد قبل الأدلة

---

1 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص152.

2 ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص248.

3 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص66.

4 الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص372.

5 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2306.

6ينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت:685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج2، ص138.

7 ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج3، ص372.

8 ينظر: رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج6، ص401.

9 ينظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص196.

10ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص330.

العقلية على فساد معتقداتهم؛ إبلاغًا في زجرهم، ولبيان وضوح بطلانها من غير دليل1، وتتجلى البلاغة القرآنية في اختيار لفظ ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾؛ حيث إنه يدل على شدة العذاب، فهو عذاب مباشر بلا حائل واق2، وهو عذاب دائم مستمر، يمس جلدهم؛ إذ هو موضع الإحساس والألم، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: 56]، وتنكير ﴿عَذَابٌ﴾ للتهويل والتكثير3.

–تضمنت الآيات سؤالَين استنكاريين للنصارى؛ للفت انتباههم، ولحضهم على إعمال عقولهم، السؤال الأول: الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وله عدة دلالات: أولًا: هو أمر بصيغة الاستفهام4، ثانيًا: المراد به الإنكار والتوبيخ والتقريع5، ثالثًا: التعجب من إصرارهم على الشرك6، والتعجب راجع إلى عدم رجوعهم وعدم توبتهم معًا7، السؤال الثاني: الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾، وهو استفهام إنكاري للتوبيخ على معتقداتهم الفاسدة، والتعجب من أفعالهم8، وتقديم الضرر عن النفع؛ لأن تفادي الضرر عند الإنسان مقدم على حيازة النفع9، ولأن دفع الضرر أقل درجات التأثير، ويليها جلب النفع10، والتعبير يفيد العموم، الذي دل عليه عموم لفظ ﴿مَا﴾ ليكون الكلام على كل ما يُعبد من دون الله، وقيل: هو إشارة لعيسى وهو في بطن أمه لا يعقل شيئًا11، وقيل: جيء بلفظ ﴿مَا﴾ لبيان انتسابه إلى الأشياء فاقدة القدرة والتأثير12.

–التذييل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فيه إغراء للإسراع إلى التوبة، فالتعبير بصيغة المبالغة يدل على أن الله تعالى كثير المغفرة والرحمة، وهذا من شأنه إحياء الأمل في النفوس؛ فالله تعالى يغفر الشرك والكفر، وإن كانا أبشع الجرائم

1ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج10، ص482.

2 ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص253.

3 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2314.

4ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج12، ص409.

5 ينظر: الحاكم الجشمي، **التهذيب في التفسير**، ج3، ص2042.

6 ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج2، ص138.

7 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص67.

8 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2306.

9 ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج2، ص139.

10 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص68.

11 ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص334.

12 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص68.

والخطايا، ونلمس في هذا التعبير لطف الاستعطاف وحسنه[1]، ودائمًا يقترن هذان الاسمان، فالاسم الأول تغفر به الذنوب، والاسم الثاني يحصل به المطلوب وهو الرحمة[2].

–في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ مقابلة بين حالين، حيث أُمر النبي ﷺ بنظرين؛ أولهما: النظر إلى إقامة الآيات والحجج عليهم ورفع الشبه عنهم، وثانيهما: النظر إلى قولهم القبيح وإعراضهم[3]، وهذا يدل على الاهتمام بالنظر والتأمل والتدبر، ولذلك جاء التعبير على سبيل التعجب، كيف يُصرَفون عن الحق مع وضوحه، ويميلون إلى الكفر مع تناقضاته[4]! والتراخي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ﴾ للترتيب الرتبي؛ إذ يدل على مرتبة العجَبَيْن؛ فالآيات ظهرت لهم ظهورًا عجيبًا، وإعراضهم عنها أعجب[5].

–تضمن التذييل البديع في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ أسرارًا بلاغية، أتت لتأكيد الفكرة، فقيل: إنه استدعاء إلى التوبة والاستغفار، وقيل: إنه تحذير من خطاياهم، فالله يحصي عليهم آثامهم بسمعه وعلمه؛ ليحاسبهم عليها[6]، واختيار الاسمين الكريمين في غاية التناسب مع مضمون الآية، فالسميع يسمع شكوى من أصابه الضر، وسؤال من يطلب النفع، ويعلم كيف وأين يكون الضر والنفع؟[7]، وفي الآية احتباك، فالله تعالى بما أثبته لنفسه من الصفات بطريق القصر في قوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، دل على نفيها عن غيره في الجملة الأولى، والله تعالى بما نفاه من صفات في قوله: ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾، دل على إثباتها لنفسه[8]، والتعبير مؤكد للإنكار والتوبيخ والتبكيت[9]، فالقصر المفاد من تعريف جُزئَي الجملة، مع ضمير الفصل، يفيد كمال الله تعالى[10].

---

1 ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت:1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1995م، ج1، ص418.

2 ينظر: العثيمين، **تفسير القرآن الكريم**، ج2، ص211.

3 ينظر: الحاكم الجشمي، **التهذيب في التفسير**، ج3، ص2045.

4 ينظر: الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج1، ص419.

5 ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج1، ص665.

6 ينظر: الحاكم الجشمي، **التهذيب في التفسير**، ج3، ص2045.

7 ينظر: السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت:756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ت: أحمد محمد الخراط، ن: دار القلم، دمشق، ج4، ص380.

8 ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج6، ص257.

9 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص68.

10 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص289.

-الالتفات في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وتوجيه الخطاب إلى أهل الكتاب على لسان النبي ﷺ، له غرض بلاغي بديع، إذ إنه مبالغة في زجرهم عن الباطل، واتباع الهوى1، ومخاطبتهم بأهل الكتاب؛ لتذكيرهم أن كتابهم ينهاهم عن الغلو ومجاوزة الحد2.

-جاء التعبير القرآني ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ليذم أهل الكتاب ويشنع عليهم، فمن المعلوم أن غير الحق هو الباطل، ولكن لما كان الحق محمودٌ صاحبه، والباطل مذمومٌ متبعه، كان في اللفظ القرآني بلاغة في ذم الغلو والانحراف الذي عليه اليهود والنصارى، وبيان بطلان هذا الغلو الكُفري، فمن الغلو ما ليس باطلًا، كالزيادة على ثلاث غسلات في الوضوء، فإنه مكروه3.

-الاستعارة في قوله تعالى: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ استعارة بليغة؛ فالإسلام هو الحق، وهو السبيل الذي لا اعوجاج فيه، وهو واضح بيّن لا شُبَه فيه4.

المحور السادس: منهج الآيات في الرد على النصارى

اتبع القرآن الكريم منهجًا مميزًا لرد عقائد النصارى الفاسدة، تتجلى بعض معالمه فيما يأتي:

أولًا: إثبات بشرية الأنبياء، وبيان ما يعتريهم من دواعي الجبلة الإنسانية، كالاحتياج إلى الطعام والشراب، والمشي في الأسواق للسعي والكسب، واحتجاب الغيب عن أبصارهم، الذي يحول بينهم وبين اجتناب الضر والاستزادة من الخير، والابتلاء بالمرض كما يُبتلى البشر، وأخيرًا النهاية الحتمية بالموت كما هو حال كافة بني آدم، ويتجلى هذا المعلم في آيات سورة المائدة، فيقول الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، ويقول تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾.

ثانيًا: هدم اتجاه الإفراط أو التفريط في الأنبياء، وكما قال النووي: "لا يقال للنبي ﷺ: عزَّ وجلَّ"5، على الرغم من عظيم قدره عند الله تعالى، فقد قال النبي ﷺ: "أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"6، ولكن يأتي الاحتراز لحماية جناب التوحيد، ولهذا نجد أممًا حادت عن المنهج القويم، فمنهم من غالى في أنبيائهم، ونقلوهم من مرتبة النبوة إلى الألوهية، واتخذوهم شركاء من دون الله، كاليهود والنصارى الذين ادعَوْا بنوة عزير وعيسى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: 30]، بل وغالوا في أتباع أنبيائهم ورجال دينهم، فأطاعوهم من دون الله في التحليل والتحريم7، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، وعلى الجانب الآخر، منهم من نظر إلى الأنبياء نظرة بشرية دونية، ونفوْا عنهم عصمة النبوة، وما اصطفاهم الله به على سائر البشر، فنسبت إليهم

1 ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص68.

2 ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج4، ص212.

3 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص290.

4 ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص291.

5 ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، **الحاوي للفتاوي**، ن: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004م، ج2، ص148.

6 مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، ج4، ص1782، رقم (2278).

7 ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج14 ص209.

الرذائل والمعاصي، كما فعلت اليهود مع أنبيائهم، فضلوا وأضلّوا، والخير كله في اتباع المنهج القرآني؛ الذي أكد على اصطفاء الأنبياء من بين البشر، وأنهم لا ينطقون عن الهوى، بل هو وحي إلهي، ولكن هذا لا ينفي جانب النقص البشري1، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]؛ ولهذا قال الحق في الآيات: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 77]

ثالثًا: إقامة الأدلة الحسية والنفسية والعقلية، على وحدانية الله تعالى2، فوجود الله تعالى، وبعثة الرسل والأنبياء، والوحي، واليوم الآخر، كلها من الأمور غير المحسوسة، ولذلك أقام القرآن منهجًا للبشر للاستدلال والنظر3، ونظرًا لأن الركنين الأساسيين اللذين قامت عليهما قاعدة التوحيد هما: ركن القدرة المطلقة لله تعالى والكمال التام، وركن الأدلة الواضحة المحسوسة المشاهدة4، نجد الآيات تأتي بالأدلة التي تسطع بنور الحق، منها:

1- علم بنو إسرائيل بنسبة عيسى إلى أمه، وهم قد خبروا مريم، وعرفوا عنها الورع والتقوى والعبادة والعفاف، فكيف يكون عيسى إلهًا، وأمه لم تستحق الألوهية، وهي أقدم وجودًا منه5؟ ومن كان يدير الكون قبل ولادته؟

2- أقر المسيح بعبوديته لله تعالى، فإذا كان المسيح نفسه يدعو الله، ويرجو منه، وينيب إليه، فهل يسأل نفسه ويدعوها بصفته إلهًا؟ وكيف يتحقق ذلك؟ وهذا قطعًا محال وجودًا وعقلًا6، وقوله: "ربي وربكم" يمنع الألوهية من ثلاثة جوانب: أولًا: إثبات أن الله تعالى هو الذي أنشأه كما أنشأ غيره، ثانيًا: لا يتميز هو عن غيره من البشر، فهو متصف مثلهم بكل صفات النقص البشرية، ثالثًا: لا يمكن أن يكون إلهًا؛ لأن الله تعالى هو الذي رباه ودبر شؤونه كغيره من البشر7.

3- المسيح كغيره من الأنبياء المؤيدين بالمعجزات، فلِمَ لم يوصفوا هم كذلك بالألوهية؟

4- إذا كان عيسى وأمه في احتياج إلى الغذاء ككافة البشر لدفع ألم الجوع، والهزال، مع توابعه من التخلص من الفضلات، أفلا تنتفي معه الألوهية؟8، وإذا كانا يحتاجان الطعام، فهما بالتأكيد يحتاجان لمن هو أدنى منهما، والذي يحتاج للأدنى لا يمكن أن يكون إلهًا، ولا يمكن أن يكون هو الأعلى، ولا يمكن أن يكون هو الأحد الصمد9، ومن السفه أن يُحقر الإنسان نفسه، فيعبد إنسانًا فقيرًا مثله، يماثله في صفات نقصه واحتياجاته، ويجعل منه إلهًا معبودًا.

---

1 ينظر: مسلم، مصطفى (ت:1441هـ)، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ن: دار القلم، ط4، 2005م، ص263.

2 ينظر: سعيد، عبد الستار فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ن: دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ص122.

3 ينظر: أبو زيد، أحمد، **التناسب البياني في القرآن**، منشورات: كلية الآداب بالرباط، المغرب، 1992م، ص73.

4 ينظر: دراز، محمد بن عبد الله (ت:1377هـ)، **مدخل إلى القرآن الكريم**، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، ن: دار القلم، الكويت، 1984م، ص85.

5 ينظر: الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، ج3، ص562.

6 ينظر: النَّحَّاس، **إعراب القرآن**، ج1، ص277.

7 ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2305.

8 ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص222.

9ينظر: الشعراوي، محمد متولي (ت:1418هـ)، **تفسير الشعراوي - الخواطر**، ن: مطابع أخبار اليوم، 1997م، ج6، ص3313.

5- الاستدلال على فساد مذهب النصارى بذكر: مساواة عيسى بغيره من الرسل أولًا، ثم بذكر حاجته وأمه إلى الطعام ثانيًا، وهذا الترتيب في غاية البلاغة، فهو ترقي من الواضح للأوضح؛ لإلزام الخصم، فهو إن لم يسلم في الواضح لالتباس الأمر عليه، يُورد له الأوضح كإشارة إلى غبائه، ليُسلم للأمر، إن لم يكن متكبرًا على الحق1.

6- الإله المستحق للعبادة هو من بيده النفع والضر، كالرزق والإيجاد والتدبير، وغير الله لا يملك من هذا شيئًا؛ فلا يكون مستحقًّا للعبادة.

رابعًا: محاربة الاتباع دون إعمال العقل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: 170]، ووصف القرآن اتباع أهل الكتاب لهوى رؤسائهم في التحليل والتحريم، بعبادتهم من دون الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، وقيل متبع الضلالة يتم بناء المبتدع، فهو شرٌّ منه، "ومن به كمال الشر شرٌّ ممن منه ابتداء الشر"2، وتجلى ذلك في الآيات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾.

خامسًا: التهديد والوعيد للكفرة العصاة، حتى إذا ارتعدوا، ودخل الهلع في قلوبهم، يأتي الوعد بالمغفرة والرحمة، ونبه على ذلك الإمام السيوطي، فمن عادة القرآن أنه: "إِذَا ذَكَرَ أَحْكَامًا ذَكَرَ بَعْدَهَا وَعْدًا وَوَعِيدًا؛ لِيَكُونَ بَاعِثًا عَلَى الْعَمَلِ بِمَا سَبَقَ، ثُمَّ يَذْكُرُ آيَاتِ تَوْحِيدٍ وَتَنْزِيهٍ؛ لِيُعْلَمَ عِظَمُ الْآمِرِ وَالنَّاهِي"3، ويتفنن الخطاب القرآني في هذه الثنائية المتكاملة، ومثاله في الآيات: يأتي قوله تعالى منذرًا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾، وقوله تعالى متوعدًا: ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم يأتي قوله تعالى حاملًا البشارة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

سادسًا: الترقي من الربوبية إلى الألوهية، فمن عادة القرآن أنه يحتج على الخلق بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية والعبادة4، ومن عادة القرآن أن تأتي الأحكام مقترنة ببيان التوحيد والعقيدة الصحيحة؛ ليقوي بعضها بعضًا5، فنلمح التوازن الإلهي المعجز بين الأمر بالحق، والنهي عن الباطل، وبين إبراز الأدلة العقلية، ومخاطبة كوامن النفس والعاطفة البشرية6.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:

1ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ج4، ص216.

2 القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت:465هـ)، **لطائف الإشارات**، ت: إبراهيم البسيوني، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط3، ج1، ص441.

3 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ج3، ص372.

4 ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج22، ص427.

5ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، ج6، ص381.

6 ينظر: الزقيلي، عماد محمود، **التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب**، ن: دار الذخائر، تركيا، ط1، 2018م، ص230.

1. المحور الرئيس للآيات هو التأكيد على حقيقة الألوهية، وبيان جوهرها، وإفراد الله تعالى بكل أركانها وخصائصها؛ إذ أن التوحيد هو قضية الإسلام الكبرى.
2. بلورت الآيات المنهج القرآني في خطاب أهل الكتاب ودعوتهم، بتفنيد الشبهات، وإقامة الحجج.
3. ظهور قوة المجادلة مع النصارى في الآيات؛ نظرًا لنزول السورة خلال السنوات الأربع الأخيرة في حياة النبي ﷺ، حيث كان الاحتكاك القوي مع النصارى، من خلال الفتوحات الإسلامية.
4. النصارى ليس لهم مستند من عقل، أو شرع فيما يزعمونه من ضلالات، التي أسلمتهم إلى تضارب عقائدهم وأقوالهم، وقبولهم الأباطيل في دينهم، التي دُسَّت عليه بعد عقودٍ من رفع عيسى.
5. العقيدة المسيحية الصحيحة، تدعو إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، وتثبت بشرية عيسى ونبوته ورسالته.
6. التقليد الأعمى للأسلاف الضالين دون إعمال العقل، مع اتباع الهوى، من أسباب انحراف النصارى عن سلوك طريق الحق.
7. التصريح بكفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، والذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وهذه التصريحات تضع حدًا فاصلًا بين الإسلام والنصرانية، وبين المسلم وغير المسلم، فلا سبيل إلى مداهنة الدعوات، التي تهدف إلى تمييع التمايز بين دين الإسلام وغيره من الأديان.
8. المقولات الكفرية للنصارى مخالفة لدعوة المسيح، الذي أمرهم بعبادة الله وحده، وعدم الإشراك به.
9. الغلو في الدين سبيل إلى إغماط الحق، وإلى سلوك سبل الضلال.
10. إرساء دعائم منظومة متكاملة قائمة على تعدد الأساليب البيانية، والمعاني القرآنية المتدفقة؛ يمكن اغتنامها في دحض عقيدة النصارى.
11. المنهج القرآني في مخاطبة النصارى منهج تطبيقي علمي استدلالي، يخاطب الفكر والوجدان.

يوصي البحث في ختام الدراسة بالآتي:

1. الاقتداء بالمنهج القرآني في الحوار الإسلامي النصراني؛ لفتح آفاق الدعوة.
2. التوسع في دراسة الجدل القائم على المنهج القرآني، للحوار مع أصحاب الديانات الضالة.
3. الاجتهاد في بناء العقيدة السليمة للنشء المسلم؛ لتكون ركيزة للحفاظ على الهوية الإسلامية، أمام التيارات الإلحادية والمنحرفة.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. (د. ت). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*. (د. ط). المكتب الإسلامي.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري. (1422هـ). *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. دار طوق النجاة، بيروت.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1417هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: محمد عبد الله النمر. ط4. دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (1413هـ). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*. (د. ط). دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر. (د. ت). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

تاجر، جاك. (د. ت). *أقباط ومسلمون: منذ الفتح العربي إلى عام 1922م*. (د. ط). مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (1975م). *سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. (1986م). *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد. (2008م). *دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر*. تحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي. ط1. مجلة الحكمة، بريطانيا.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. (د. ت)، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط3. مكتبة نزار مصطفى الباز.

الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه. (1990م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت.

الحاكم الجشمي، المحسن بن محمد بن كرامة. (2018م). *التهذيب في التفسير*. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان السالمي. ط1. دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (د. ت)، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. (د. ط). مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن حنبل، أحمد. (2001م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. ط1. مؤسسة الرسالة.

ابن حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. (1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. د.ط. دار الفكر، بيروت.

الخلف، سعود بن عبد العزيز. (2004م). *دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية*. (د. ط). مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

دراز، محمد بن عبد الله. (1984م). *مدخل إلى القرآن الكريم*. ترجمة: محمد عبد العظيم علي. مراجعة: السيد محمد بدوي. دار القلم، الكويت.

دروزة، محمد عزت. (1383هـ). *التفسير الحديث*. ط1. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

درويش، محيي الدين بن أحمد. (د. ت)، *إعراب القرآن وبيانه*. (د. ط). دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، و(دار اليمامة، دمشق، بيروت)، و(دار ابن كثير، دمشق، بيروت).

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. (د. ت). *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*. تحقيق: علي سامي النشار. دار الكتب العلمية، بيروت.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. (1420هـ). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*. ط3. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. (2004م). *جامع العلوم والحكم*. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. ط2. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

رحمت الله الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن. (1989م). *إظهار الحق*، تحقيق: محمد أحمد محمد عبد القادر. ط1. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا. (1990م). *تفسير القرآن الحكيم*. (د. ط). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

روفيله، يعقوب نخلة. (1898م). *تاريخ الأمة القبطية*. تقديم: جودت جبره. ط2. مطبعة التوفيق، مصر.

رياض، يوسف. (1987م). *ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي*. لوجوس برنت سنتر.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. (1988م). *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. عالم الكتب، بيروت.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (1957م). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

الزقيلي، عماد محمود. (2018م). *التوازن القرآني في الألفاظ والتراكيب والأسلوب*. ط1. دار الذخائر، تركيا.

زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد. (1983م). *فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن*، تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان.

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. د. ت. ط3. دار الكتاب العربي، بيروت.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (د. ت). *زهرة التفاسير*. (د. ط). دار الفكر العربي.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (1966م). *محاضرات في النصرانية*. ط3. دار الفكر العربي، القاهرة.

أبو زيد، أحمد. (1992م). *التناسب البياني في القرآن*. منشورات: كلية الآداب بالرباط، المغرب.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. (د. ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم "تفسير أبي السعود"*. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سعيد، عبد الستار فتح الله. (1991م). *المدخل إلى التفسير الموضوعي*. ط2، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

ابن سليمان، مقاتل بن سليمان بن بشير. (1423هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق: عبد الله محمود شحاته. ط1. دار إحياء التراث، بيروت.

السمين الحلبي، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. د.ت. *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. تحقيق: أحمد محمد الخراط، (د. ط). دار القلم، دمشق.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د. ط). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي. (1986م). *تناسق الدرر في تناسب السور*. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

السيوطي. (2004م). *الحاوي للفتاوي*. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

شحاتة، عبد الله محمود. (1976م). *أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم*. (د. ط). الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

شحاتة، (2000م). *تفسير القرآن الكريم*. (د. ط). جامع الكتب الإسلامية.

الشعراوي، محمد متولي. (1997م). *تفسير الشعراوي – الخواطر*. مطابع أخبار اليوم.

شلبي، رؤوف. (1974م). *يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء*. ط1. مكتبة الأزهر، مصر.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر. (د. ت). *الملل والنحل*. مؤسسة الحلبي.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

الطباطبائي، محمد حسين بن السيد. (1997م). *الميزان في تفسير القرآن*. تحقيق: حسين الأعلمي. ط1. مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان 1997م.

الطبري، أبو جعفر بن جرير. (د. ت). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: محمود محمد شاكر. (د. ط). دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم. (2005م). *الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية*. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. (1984م). *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "التحرير والتنوير"*. (د. ط). الدار التونسية للنشر، تونس.

العثيمين، محمد بن صالح. (1435هـ). *تفسير القرآن الكريم*. ط2. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

عجيبة، أحمد علي. (2006م). *تأثر المسيحية بالأديان الوضعية*. ط1. الآفاق العربية.

ابن العربي، محمد بن عبد الله. (2003م). *أحكام القرآن*. علق عليه: محمد عبد القادر عطا. ط3. دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. (1422هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور. (د.ت). *معاني القرآن*. تحقيق: أحمد يوسف النجاتي. ط1. دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (1996م). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تحقيق: محمد علي النجار. د. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد. (1418هـ). *محاسن التأويل*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (1964م). *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. دار الكتب المصرية، القاهرة.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. (د. ت). *لطائف الإشارات "تفسير القشيري"*. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

قطب، سيد. (د. ت). *في ظلال القرآن*. (د. ط). دار الشروق.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (2019م). *الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب*، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد. ط5. دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن حزم (بيروت).

ابن قيم الجوزية. (1996م)، *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*. تحقيق: محمد أحمد الحاج. ط1. دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (1999م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي محمد سلامة. ط2. دار طيبة، المدينة المنورة.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود. (2005م). *تأويلات أهل السنة*. تحقيق: مجدي باسلوم. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. (د. ت). *النكت والعيون*. (د. ط). دار الكتب العلمية.

مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري. د.ت. *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

مسلم، مصطفى، وزملاؤه. (2010م). *التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم*. د. ت. ط1. كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة.

مسلم، مصطفى. (2005م). *مباحث في التفسير الموضوعي*. ط4. دار القلم.

مغنية، محمد جواد. (د. ت)، *التفسير الكاشف*. ط4. دار الأنوار، بيروت.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب. (2008م). *الهداية إلى بلوغ النهاية*. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، إشراف: الشاهد البوشيخي. ط1. مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم. (1295هـ). *تبصير الرحمن وتيسير المنان*. د. ت. د. ط. مطبعة بولاق، مصر.

النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. (1421هـ). *إعراب القرآن*. تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم. ط1. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. (1409هـ). *معاني القرآن*. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي. (1416هـ). *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت.

قائمة المراجع المرومنة:

‘Ajībah, A. (2006m). Ta’aththur al-Masīḥīyah bi-al-adyān al-waḍ‘īyah. (In Arabic). 1st edition. al-Āfāq al-‘Arabīyah.

Al-Albānī, M. (n. d). Ṣaḥīḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr wa-ziyādātuhu. (In Arabic). (n. e). al-Maktab al-Islāmī.

Al-Alusi, S. (1995). Rooh Al-ma’ani. (In Arabic). Comment: Ali Atia. 1st edition. Beirut: Dar Al-kotob Al-ilmiyah.

Ibn al-‘Arabī, M. (2003m). Aḥkām al-Qur’ān. (In Arabic). Comment: Muḥammad ‘Abd al-Qādir ‘Aṭā. 3rd edition. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.

Ibn ‘Āshūr, M. (1984). Taḥrīr al-ma‘ná al-sadīd wa-tanwīr al-‘aql al-jadīd min tafsīr al-Kitāb al-Majīd "al-Taḥrīr wa-al-tanwīr". (In Arabic). (n.e.). Tunisia: al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr.

Ibn ‘Aṭīyah al-Andalusī, A. (1422H). Al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz. (In Arabic). Comment: ‘Abd al-Salām Muḥammad. 1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Al-Baghawy, H. (1419H). Tafsir AlBaghawy. (In Arabic). Comment: Mohamed Alnemr. 4th edition. Medina: Dar Tayba.

Al-Bayḍāwī, A. (n. d). Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl. (In Arabic). Comment: Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān al-Mar‘ashlī. 1st edition. Bayrūt: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.

Al-Biqā‘ī, I. (1413H). Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-āyāt wa-al-suwar. (In Arabic). (n.e.). Cairo: Dār al-Kitāb al-Islāmī.

Al-Bukhārī, M. (1422H). Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī. (In Arabic). Comment: Muḥammad Al-Nāṣir. 1st edition. Beirut: Dār Ṭawq Al-najāh.

Darāz, M. (1984m). Madkhal ilá al-Qur’ān al-Karīm. Translation: Muḥammad ‘Abd al-‘Aẓīm ‘Alī. Revision: Al-Sayyid Muḥammad Badawī. Dār al-Qalam. Kuwayt.

Darwazah, M. (1383h). Al-tafsīr al-ḥadīth. (In Arabic). 1st edition. Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah, al-Qāhirah.

Darwīsh, M. (n. d), I‘rāb al-Qur’ān wa-bayānih. (In Arabic). (n. e). Dār al-Irshād lil-Shu’ūn al-Jāmi‘īyah, Ḥimṣ, Sūrīyah, wa (Dār al-Yamāmah, Dimashq, Bayrūt), wa (Dār Ibn Kathīr, Dimashq, Bayrūt).

Al-Farrā’, A. (n.d.) ma‘ānī al-Qur’ān. (In Arabic). Comment: Aḥmad Alnjāty. 1st edition. Egypt: Dār al-Miṣrīyah lil-Ta’līf wa-al-Tarjamah.

Al-Fayrūz ābādá, M. (1996). Baṣā’ir dhawī al-Tamyīz fī Laṭā’if al-Kitāb al-‘Azīz, (In Arabic). Comment: Muḥammad Al-Najjār. (n.e.). Cairo: al-Majlis al-A‘lá lil-Shu’ūn al-Islāmīyah, Lajnat Iḥyā’ al-Turāth al-Islāmī.

Al-Ḥākim, M. (1990). Al-Mustadrak ‘alá al-ṣaḥīḥayn. (In Arabic). Comment: Muṣṭafá ‘Aṭā. 1st edition. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

Al-Ḥākim al-Jishumī, M. (2018m). al-Tahdhīb fī al-tafsīr. (In Arabic). Comment: ‘Abd al-Raḥmān ibn Sulaymān al-Sālimī. 1st edition. Dār al-Kitāb al-Miṣrī, al-Qāhirah, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, Bayrūt

Ibn Ḥanbal, A. (2001). Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal. (In Arabic). Comment: Shu‘ayb al-Arna’ūṭ, ‘Ādil Murshid, wa-ākharūn. 1st edition. (n.p.). Mu’assasat al-Risālah.

Ibn Abī Ḥātim, A. (n. d). Tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm. (In Arabic). Comment: As‘ad Muḥammad al-Ṭayyib. 3rd edition. Maktabat Nizār Muṣṭafá al-Bāz.

Ibn Hayan, M. (1420H). AlBahr Almuhit. (In Arabic). Comment: Sidki Mohamed. (In Arabic). (n.e.). Beirut: Dra Alfikr.

Ibn Ḥazm, A. (n. d), al-faṣl fī al-milal wāl'hwā' wa-al-niḥal. (In Arabic). (n. e). Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah.

Al-Jurjānī, A. (2008). Darju Aalddurr fī tafisyir al'āyi wālssuwar. (In Arabic). Comment: (al-Fātiḥah wālbqrh) Walyd Alḥusayn, (wshārkh fī baqīyat al-ajzā'): Iyād Al-Qaysī. 1st edition. Britain: Majallat al-Ḥikmah.

Ibn Kathīr, I. (1999). Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm. (In Arabic). Comment: Sāmī Salāmah. 2nd edition. Al-Madīnah al-Munawwarah: Dār Ṭaybah.

Al-Khalaf, S. (2004m). Dirāsāt fī al-adyān al-Yahūdīyah wa-al-Naṣrānīyah. (In Arabic). (n. e). Maktabat Aḍwā' al-Salaf, al-Riyāḍ, al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah.

Al-Mahāyimī, A. (1295H). Tabṣīr al-Raḥmān wa-taysīr al-Mannān. (In Arabic). (n.e.). Egypt: Maṭba'at Būlāq.

Makkī, A. (2008M). Al-Hidāyah ilá Bulūgh al-nihāyah. (In Arabic). Comment: Majmū'ah Rasā'il jāmi'īyah, Jāmi'at al-Shāriqah, Revision: al-Shāhid al-Būshaykhī. 1st edition. majmū'ah Buḥūth al-Kitāb wa-al-sunnah, Kullīyat al-sharī'ah wa-al-Dirāsāt al-Islāmīyah, Jāmi'at al-Shāriqah.

Al-Māturīdī, M. (2005). Ta'wīlāt ahl al-Sunnah. (In Arabic). Comment: Majdī Bāslūm. 1st edition. Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Al-Māwardī, A. (n.d.). Al-Nukat wa-al-'uyūn. (In Arabic). (n.e.). (n.p.). Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Mughnīyah, M. (n. d). Al-tafsīr al-Kāshif. (In Arabic). 4th edition. Dār al-anwār, Bayrūt.

Muslim, I. (n.d.). Ṣaḥīḥ Muslim. (In Arabic). Comment: Muḥammad 'Abd al-Bāqī. (n.e.). Cairo: Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabīyah: Fayṣal 'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī.

Muslim, M. (2005m). Mabāḥith fī al-tafsīr al-mawḍū'ī. (In Arabic). 4th edition. Dār al-Qalam.

Muslim, M. (2010). Al-tafsīr al-mawḍū'ī li-suwar al-Qur'ān al-Karīm. (In Arabic). 1st edition. Emirates: Kullīyat al-Dirāsāt al-'Ulyā wa-al-Baḥth al-'Ilmī, Jāmi'at al-Shāriqah.

Al-Nahhas, A. (1421H). I'rab AlQuran. (In Arabic). Comment: Abdelmunem Khalil. 1st edition. Beirut: Dar Alkutub.

Al-Naḥḥās, A. (1409H). Ma'ānī al-Qur'ān. (In Arabic). Comment: Muḥammad 'Alī al-Ṣābūnī. 1st edition. Jāmi'at Umm al-Qurá, Makkah al-Mukarramah.

Al-Nīsābūrī, N. (1416h). Gharā'ib al-Qur'ān wa-raghā'ib al-Furqān. (In Arabic). Comment: Al-Shaykh Zakarīyā 'Umayrāt. 1st edition. Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt.

Al-Qāsimī, M. (1418h). Maḥāsin al-ta'wīl. (In Arabic). Comment: Muḥammad Bāsil 'Uyūn al-Sūd. 1st edition. Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt.

Ibn Qayyim al-Jawzīyah, A. (2019m). Al-Wābil al-Ṣayyib wa-rāfi' al-Kalim al-Ṭayyib. (In Arabic). Comment: 'Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan ibn Qā'id. 5th edition. Dār 'aṭā'āt al-'Ilm (al-Riyāḍ), Dār Ibn Ḥazm (Bayrūt).

Ibn Qayyim Al-Jawzīyah, A. (1996m). Hidāyat al-ḥayārá fī Ajwibat al-Yahūd wa-al-Naṣārá. (In Arabic). Comment: Muḥammad Aḥmad al-Ḥājj. 1st edition. Dār al-Qalam, Dār al-Shāmīyah, Jiddah, al-Sa'ūdīyah.

Al-Qurṭubī, M. (1964). Al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān. (In Arabic). Comment: Aḥmad al-Baraddūnī, Ibrāhīm Aṭṭafayyish. 2nd edition. Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah.

Al-Qushayrī, A. (n.d.). Laṭā'if al-Ishārāt "tafsīr al-Qushayrī". (In Arabic). Comment: Ibrāhīm al-Basyūnī. 3rd edition. Egypt: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb.

Quṭb, S. (n.d.). Fī ẓilāl al-Qur'ān, (In Arabic). (n.e.). Egypt: Dār al-Shurūq.

Al-Rāghib Al'ṣfhāná, A. (1412H). Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān. (In Arabic). Comment: Ṣafwān Al-Dāwūdī. 1st edition. Beirut: Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah.

Ibn Rajab, A. (2004m). Jāmi‘ al-‘Ulūm wa-al-Ḥikam. (In Arabic). Comment: Muḥammad al-Aḥmadī Abū al-Nūr. 2nd edition. Dār al-Salām lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī.
Rashīd Riḍā, M. (1990). Tafsīr al-Qur'ān al-Ḥakīm. (In Arabic). (n.e.). Ciaro: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
Al-Rāzī, M. (n. d). I‘tiqādāt firaq al-Muslimīn wa-al-mushrikīn. (In Arabic). Comment: ‘Alī Sāmī al-Nashshār. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.
Al-Rāzī, M. (1420H). Mafātīḥ al-Ghayb (Al-tafsīr Al-kabīr). (In Arabic). 3rd edition. Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-‘Arabī.
Rḥmt Allāh al-Hindī, M. (1989m). Iẓhār al-Ḥaqq. (In Arabic). Comment: Muḥammad Aḥmad Muḥammad ‘Abd al-Qādir. 1st edition. al-Ri'āsah al-‘Āmmah li-Idārāt al-Buḥūth al-‘Ilmīyah wa-al-Iftā' wa-al-Da‘wah wa-al-Irshād, al-Sa‘ūdīyah.
Riyāḍ, Y. (1987m). Thalāth ḥaqā'iq asāsīyah fī al-īmān al-Masīḥī. (In Arabic). Lūjūs Brint Sintir.
Rwfylh, Y. (1898m). Tārīkh al-ummah al-Qibṭīyah. (In Arabic). Presentation: Jawdat jbrh. 2nd edition. Maṭba‘at al-Tawfīq, Miṣr.
Sa‘īd, A. (1991). Al-Madkhal ilá al-tafsīr al-mawḍū‘ī. (In Arabic). 2nd edition, Cairo: Dār al-Tawzī‘ wa-al-Nashr al-Islāmīyah.
Al-Samin Alhalabi, S. (n.d.). Aldur Almason fi ‘ulum Alketab Almaknon. (In Arabic). Comment: Ahmad Alkharat. (n.e.). Damascus: Dar Alkalam.
Al-Shahrastānī, M. (n. d). Al-milal wa-al-niḥal. (In Arabic). Mu'assasat al-Ḥalabī.
Shalabī, R. (1974m). Yā ahl al-Kitāb ta‘ālaw ilá Kalimah sawā'. (In Arabic). 1st edition. Maktabat al-Azhar, Miṣr.
Al-Sha‘rāwī, M. (1997m). Tafsīr al-Sha‘rāwī – al-khawāṭir. (In Arabic). Maṭābi‘ Akhbār al-yawm.
al-Shawkānī, M. (1414h). Fatḥ al-qadīr. 1st edition. Dār Ibn Kathīr, Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Dimashq, Bayrūt.
Shiḥātah, A. (1976). Ahdāf kull Sūrat wa-maqāṣidihā fī al-Qur'ān al-Karīm. (In Arabic). (n.e.). Cairo: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
Shiḥātah, A. (2000M). Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm. (In Arabic). (n. d). Jāmi‘ al-Kutub al-Islāmīyah.
Al-Shinqīṭī, M. (1995m). Aḍwā' al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān. (In Arabic). Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt, Lubnān.
Ibn Sulaymān, M. (1423h). Tafsīr Muqātil ibn Sulaymān. (In Arabic). Comment: ‘Abd Allāh Maḥmūd Shiḥātah. 1st edition. Dār Iḥyā' al-Turāth, Bayrūt.
Abu Su'ud, M. (n.d.). Tafser Abi Alsu'ud. (In Arabic). Beirut: Dar Ehya' Alturath Alarabi.
Al-Suyūṭī, A. (2004m). Al-Ḥāwī llftāwy. (In Arabic). Dār al-Fikr lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Bayrūt, Lubnān.
Al-Suyūṭī, A. (1974). Al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur'ān. Comment: Muḥammad Ibrāhīm. (In Arabic). Cairo: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
Al-Suyūṭī, A. (1986m). Tnāsq al-Durar fī tanāsub al-suwar. (In Arabic). Comment: ‘Abd al-Qādir Aḥmad ‘Aṭā. Ṭ1. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, Lubnān.
Al-Ṭabarī, M. (n.d.). Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta'wīl āy al-Qur'ān. (In Arabic). Comment: Maḥmūd Shākir. (n.e.). Saudi Arabia: Dār al-Tarbiyah wa-al-Turāth.
Al-Ṭabāṭabā'ī, M. (1997). Al-mīzān fī tafsīr al-Qur'ān. (In Arabic). Comment: Ḥusayn al-A‘lamī. 1st edition. Lebanon: Mu'assasat al-A‘lá lil-Maṭbū‘āt.
Tājir, J. (n. d). Aqbāṭ wa-Muslimūn: mundhu al-Fatḥ al-‘Arabī ilá ‘ām 1922m. (In Arabic). (n. e). Miṣr: Mu'assasat Hindāwī lil-ta‘līm wa-al-Thaqāfah.

Ibn Taymīyah, A. (In Arabic). (1995m). Majmūʻ al-Fatāwá. (In Arabic). Comment: ʻAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim. (n. e). Al-Saʻūdīyah: Majmaʻ al-Malik Fahd li-Ṭibāʻat al-Muṣḥaf al-Sharīf.

Ibn Taymīyah, A. (1986m). Minhāj al-Sunnah al-Nabawīyah fī naqḍ kalām al-Shīʻah al-qadarīyah. (In Arabic). Comment: Muḥammad Rashād Sālim. 1st edition. Al-Saʻūdīyah : Jāmiʻat al-Imām Muḥammad ibn Saʻūd al-Islāmīyah.

Al-Tirmidhī, M. (1975m). Sunan al-Tirmidhī. (In Arabic). Comment: Aḥmad Muḥammad Shākir, Muḥammad Fu'ād ʻAbd al-Bāqī, wa-Ibrāhīm ʻAṭwah ʻAwaḍ. 2nd edition. Miṣr: Sharikat Maktabat wa-Maṭbaʻat Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī.

Al-Ṭūfī, S. (2005m). Al-Ishārāt al-ilāhīyah ilá al-mabāḥith al-uṣūlīyah. (In Arabic). Comment: Muḥammad Ḥasan Muḥammad Ḥasan Ismāʻīl. 1st edition. Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Lubnān.

Al-ʻUthaymīn, M. (1435h). Tafsīr al-Qur'ān al-Karīm. (In Arabic). 2nd edition. Dār Ibn al-Jawzī lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ, Saudi Arabia.

Abū Zahrah, M. (1966m). Muḥāḍarāt fī al-Naṣrānīyah. (In Arabic). 3rd edition. Dār al-Fikr al-ʻArabī, al-Qāhirah.

Abū Zahrah, M. (n. d). Zahrah al-tafāsīr. (In Arabic). (n. e). Dār al-Fikr al-ʻArabī.

Al-Zajjāj, I. (1988m). Maʻānī al-Qur'ān wa-iʻrābuh. (In Arabic). Comment: ʻAbd al-Jalīl ʻAbduh Shalabī. 1st edition. ʻĀlam al-Kutub, Bayrūt.

Zakarīyā al-Anṣārī, Z. (1983m). Fatḥ al-Raḥmān bi-kashf mā yaltabisu fī al-Qur'ān. (In Arabic). Comment: Muḥammad ʻAlī al-Ṣābūnī. 1st edition. Dār al-Qur'ān al-Karīm, Bayrūt, Lubnān.

Al-Zamakhsharī, M. (1407H). Al-Kashshāf ʻan ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl. (In Arabic). 3rd edition. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʻArabī.

Al-Zarkashī, B. (1957). Al-burhān fī ʻulūm al-Qur'ān. (In Arabic). Comment: Muḥammad Ibrāhīm. 1st edition. (n.p.) Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʻArabīyah ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-shurakā'ih.

Abū Zayd, A. (1992m). Al-tanāsub al-bayānī fī al-Qur'ān. (In Arabic). Manshūrāt: Kullīyat al-Ādāb bi-al-Rabāṭ, al-Maghrib.

Al-Zqyly, I. (2018m). Al-tawāzun al-Qur'ānī fī al-alfāẓ wa-al-tarākīb wa-al-uslūb. (In Arabic). 1st edition. Dār al-Dhakhā'ir, Turkiyā.